الفصل الثاني

منهجه في الدعوة إلى العقيدة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية العقيدة وخصائصها.

المبحث الثاني: منهجه في عرض مسائل العقيدة والدعوة إليها.

المبحث الثالث: موقفه من المخالفين.

المبحث الأول

أهمية العقيدة الإسلامية وخصائصها

"جاء الإسلام وفي العالم ركام هائل من العقائد والتصورات ، والفلسفات والأساطير ، والأفكار والأوهام ، والشعائر والتقاليد ، والأوضاع والأحوال ، يختلط فيها الحق بالباطل والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة ، والفلسفة بالأسطورة ، والحياة الإنسانية - بتأثير هذا الركام الهائل - تتخبط في فساد وانحلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لا تليق بالإنسان ، بل لا تليق بقطيع الحيوان ! "[1] .

" ومراجعة ذلك الركام .. تكشف عن عظمة الدور الذي جاءت هذه العقيدة لتؤديه في تحرير الضمير البشري وإعتاقه ، وفي تحرير الفكر البشري وإطلاقه ، وفي تحرير الحياة ، والحياة تقوم على أساس التصور الاعتقادي كيفما كان"[2] .

" ولقد جاء الإسلام لينشئ أمة، يسلمها قيادة البشرية ، لتنأى بها عن التيه والركام ، فإذا هذه الأمة اليوم تترك مكان القيادة ،وتترك منهج القيادة ، وتلهث وراء الأمم الضاربة في التيه والركام " [3] .

لذا كانت الحاجة إلى بيان العقيدة وخصائصها، ومن هذا المنطلق عمل سيد قطب- رحمه الله - على بيان أهمية العقيدة الإسلامية وبيان خصائصها التي تميزها عن ذلك الركام من التصورات الضالة ، وبيان رسائل الأعداء في محاربتها، وبيان ذلك في المطالب الآتية :

(١) خصائص التصور الإسلامي - سيد قطب - ص ٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢ بتصرف .

المطلب الأول

أهمية العقيدة الإسلامية

عمل سيد قطب – رحمه الله – جاهدًا على بيان أهمية العقيدة الإسلامية في حياة البشر ، وضبط علاقاتهم وانتظام أمورهم ، ويمكن بيان أهمية العقيدة عنده من خلال النقاط الآتية :

١ - العقيدة الإسلامية أساس الرابطة بين البشر :

" فالعقيدة هي الوشيجة الأولى التي يتلاقى عليها الناس في الإسلام ، حين لا يلتقون على نسب ولا أرومة [١] ولا جنس ولا أرض .. فالإنسان في نظر الإسلام إنسان بروحه ، ومن ثم فهو يتلاقى على العقيدة أخص خصائص الروح فيه ، ولا يلتقي على مثل ما تلتقي عليه البهائم من الأرض والجنس والكلأ والمرعى والحد والسياج، والولاية بين فرد وفرد ، وبين مجموعة ومجموعة ، وبين جيل من الناس وجيل ،لا ترتكن إلى وشيجة أخرى غير وشيجة العقيدة ، يتلاقى فيها المؤمن والمؤمن ، والجماعة المسلمة والجماعة المسلمة والجيل المسلم والأجيال المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان ، ومن وراء فواصل الدم والنسب، والقوم والجنس، ويتجمعون أولياء – بالعقيدة وحدها – والله من ورائهم ولي الجميع ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٢]... وهذه الصورة هي ارقي صورة للتجمع الإنساني يليق بالكائن الإنساني ، ويميزه عن القطيع ، كما أنها الصورة الوحيدة التي تسمح بالتجمع بلا قيود ،لان القيد الوحيد فيها اختياري ..فهو عقيدة يختارها بنفسه فينتهي الأمر ، على حين لا يملك أن يغير جنسه أو قومه أو لونه أو طبقته إن كانت الرابطة هي الجنس أو القوم أو اللون أو الطبقة ، ومن ثم تبقى الحواجز قائمة أمام التجمع الإنساني ما لم ترد إلى رابطة العقيدة ...والبشرية إما أن تعيش – كما يريدها الإسلام أناسي تتجمع على العقيدة..

(١) الأرومة : أي الأصل . انظر لسان العرب ١/ ١٢٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٦٨.

وإما أن تعيش قطعانًا خلف سياج الحدود الأرضية أو حدود الجنس واللون..وكلها حدود مما يقام للماشية في المرعى حتى لا يختلط قطيع بقطيع !!!" [١].

" ومن ثم ينبغي أن تكون العقيدة – في المجتمع الإنساني الذي يبلغ ذروة الحضارة الإنسانية هي آصرة التجمع ، فعقيدة المؤمن هي وطنه ، وهي قومه ، وهي أهله ، وهي جنسيته " [٢] .

٢- العقيدة الإسلامية سبب انتظام الحياة وصلاحها :

" إن الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلا على أساس الإيمان بالله الواحد ، والعبودية لإله واحد ، وإن الأرض لتفسد حين لا تتمحض العبودية لله في حياة الناس .. وما صلحت الأرض قط ،ولا استقامت حياة الناس إلا أيام أن كانت عبوديتهم لله وحده ،عقيدة وعبادة وشريعة " [٣] .

" إنه لا صلاح لهذه الأرض ، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة، إلا بالرجوع إلى الله ... عن طريق العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه ... إنه أمر العقيدة من أساسها .. ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها " [٤] .

" فالتوحيد حقيقة أولية يقوم عليها هذا الوجود كله .. وهو قاعدة لا تصلح الحياة البشرية كلها في أصولها وفروعها إلا إذا قامت عليه " [٥] .

٣- العقيدة الإسلامية تجعل الإنسان متناسقًا مع الكون والسنن الإلهية :

" إن صاحب العقيدة ، مدرك لسنن الله متعرف إلى مشيئة الله . مطمئن إلى قدرة الله ، إنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤١٢-٤١٣ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ، ٤/ ١٨٨٨ . وينظر أيضًا الظلال ، ١/ ١٢ ،١١٣ ،١٣٤ ،٤١٢ ،٢/ ٩١٤ ،٣/ ١٥٤٨ ،١٧٢١ ، ٥/ ٢٦٠٢ ،٦/ ٣٥٤٥ .، ومعالم في الطريق فصل " جنسية المسلم عقيدته" ص١٤٩ وما بعدها ، وهذا الدين، ص ٨٨ .

(٣) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٣٤٥ .

(٤) المصدر السابق ، ١/ ١٥، بتصرف ، وينظر أيضا الظلال ٤/ ١٩٠٣ و١٩٣٨ .

(٥) المصدر السابق ، ٥/ ٣٠١٠ ، بتصرف.

أخطئه لم يكن ليصيبه ومن ثم لا يتلقى الضراء بالجزع ، ولا يتلقى السراء بالزهو "[١] .

" إن العقيدة التي تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة ، وهي توحي إليه أن له أجرًا حين يرويها من العطش ، هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة ،عقيدة تسكب في روحه السلام ، وتطلقه يعانق الوجود كله ، ويعانق كل موجود ، ويشيع من حوله الأمن والرفق والحب والسلام ، وبالتالي يشعر بأنه يمضي على سُنَّة الله مع هذا الكون كله ، قانونه قانونه ، ووجهته وجهته ، فلا صدام ولا خصام ، ولا تبديد للجهد ، ولا بعثرة للطاقة ، وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته ، وتهتدي بالنور الذي يهتدي به ، وتتجه إلى الله وهو معها يتجه إلى الله "[٢] .

" إن العقيدة الدينية فكرة كلية تربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخفية، .. وتفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء" [٣] . " فالإنسان – بفطرته – لا يملك أن يستقر في هذا الكون الهائل ذرة تائهة مغلقة ضائعة ، فلا بد له من رباط معين بهذا الكون يضمن له الاستقرار فيه ، ومعرفة مكانه في هذا الكون الذي يستقر فيه ، فلا بد له إذن من عقيدة تفسر له ما حوله ، وتفسر له مكانه فيما حوله ، فهي ضرورة فطرية شعورية .. وكم كان شقاء الإنسان وحيرته وضلاله حين أخطأ حقيقة هذا الارتباط وهذا التفسير " [٤] .

٤- العقيدة الإسلامية أصل التشريعات :

" إن التشريعات والتوجيهات – في منهج الله – إنما تنبثق كلها من أصل واحد، وترتكز على ركيزة واحدة ، إنها تنبثق من العقيدة في الله ، وترتكز على التوحيد المطلق الذي هو سمة هذه العقيدة ، ومن ثم يتصل بعضها ببعض ، ويتناسق بعضها مع بعض ... ويصعب فصل جزئية منها عن جزئية ، .. ومن العقيدة في الله تنبع كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والعالمية ، والتي تؤثر

---

(١) المصدر السابق ، ١/ ٤٩٨ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٠٨ ، بتصرف.
(٣) ينظر : فصل " العقيدة والحياة " في كتاب السلام العالمي والإسلام ص ٥ وما بعدها .
(٤) خصائص التصور الإسلامي ، ص ٥٤ .

في علاقات الناس بعضهم ببعض، في كل مجالي النشاط الإنساني في الأرض "[١].

" كما أن العقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعًا ، وإلا فهي أنكاث، فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثًا وغاية ، فتجعل الخير أصيلًا ثابتًا يستند إلى أصل كبير "[٢].

لهذا نجد القرآن " يربط بين العقيدة والشعائر، فهي منبثقة من العقيدة وقائمة عليها ، والشعائر تعبير عن هذه العقيدة، ورمز لها "[٣] " فالإسلام عقيدة ، تنبثق منها شريعة ، يقوم على هذه الشريعة نظام ، وهذه الثلاثة مجتمعة مترابطة متفاعلة هي الإسلام "[٤].

٥- العقيدة الإسلامية قاعدة الدعوة الإسلامية :

كانت قضية العقيدة هي القضية الكبرى التي ظل النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة يقررها . واستمر كذلك بعد الهجرة يؤكدها ويربطها في كل التشريعات وتفصيلات الأحكام ، ولقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة ، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن يمضي في دعوته يعَّرف الناس بربهم الحق ، ويعبدهم له دون سواه .. وأصحاب الدعوة إلى دين الله ، وإقامة نظامه في الحياة ، خليقون أن يقفوا طويلًا أمام هذه الظاهرة الكبيرة .. "[٥].

" فالعقيدة إذا استقرت في النفوس، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه العقيـــدة في الواقع، فالانطلاق من العقيدة ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة وضمانًا من ضمانات البقاء "[٦]

---

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ٦٥٩، بتصرف .
(٢) المصدر السابق ، ٤/ ٢١٩٣.
(٣) المصدر السابق ، ٤/ ٢٤٢٣.
(٤) المصدر السابق ، ٥/ ٢٨٢٢ .
(٥) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٠٥ ، بتصرف .
(٦) المصدر السابق ، ٢/ ١٠٠٩ .

" لذلك يجب أن يكون مفهومًا لأصحاب الدعوة الإسلامية،أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولًا إلى اعتناق العقيدة ، حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ! .. يجب أن يعلموهم أن الإسلام هو أولًا إقرار عقيدة لا إله إلا الله بمدلولها الحقيقي ... ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة " (١) .

٦- العقيدة الإسلامية أساس المعركة مع الأعداء :

"القرآن الكريم يربي وعي المسلم بحقيقة المعركة التي يخوضها مع أعدائه ... إنها معركة العقيدة ، فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه ، وهم يعادونه لعقيدته ودينه ،قبل أي شيء آخر " (٢) .

" إنها معركة العقيدة ، وليست معركة الأرض ، ولا الغلة ولا المراكز العسكرية، ولا هذه الرايات المزيفة كلها ، فهي معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها وإن لونوها بألوان شتى " (٣) .

٧- العقيدة الإسلامية مصدر العزة وسبب الثبات :

" العقيدة هي صخرة النجاة ، وخط الدفاع ، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة " (٤) . " والعقيدة هي السلاح الأول في المعركة ، فالأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئًا كثيرًا في ساعة الشدة " (٥) ، " وهي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن ، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة ، وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيثبت هو بالصخرة التي لا تتزعزع ، وتتهاوى من حوله الأسناد ، فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول ، هذه هي قيمة العقيدة في حياة المؤمن ، ومن ثم يجب أن يستوي عليها متمكنًا منها ، واثقًا بها ، لا يتلجلج فيها ولا ينتظر عليها جزاءً ، فهي في ذاتها جزاء، ذلك أنها الحمى الذي يلجأ

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠١١ .
(٢) المصدر السابق ، ٢/ ٩٠٨ .
(٣) المصدر السابق ، ١/ ١٠٨ ، بتصرف .
(٤) المصدر السابق ، ١/ ٤٣٨ .
(٥) المصدر السابق ، ٣/ ١٨١٦ .

إليه ،والسند الذي يستند عليه . أجل هي في ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله تتجاذبهم الرياح ، وتتقاذفهم الزوابع ، ويستبد بهم القلق بينما هو بعقيدته مطمئن القلب ، ثابت القدم ، هادئ البال ،موصول بالله، مطمئن بهذا الاتصال"[١]

"والعقيدة هي النجم الهادي الثابت على الأفق يتجه إليه المؤمن وسط الأنواء والزوابع ، فلا يضل ولا يحيد ، ... وقد جاءت ليعرف أصحابها طريقهم ووجهتهم إلى الله ، ويقودوا من وراءهم البشر في غير ما تلجلج ولا تردد ولا ضلال "[٢] .

(١) المصدر السابق ، ٤/ ٢٤١٢ .
(٢) المصدر السابق ، ٥/ ٣١٤٩ .

المطلب الثاني

خصائص العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية خصائصها المميزة، التي تجعل لها طبيعتها الخاصة المتفردة عن ما سواها، وهذه الخصائص تتعدد وتتوزع، ولكنها تتجمع عند خاصية واحدة تنبثق منها وترجع إليها هي خاصية الربانية، فهي وحي من الله سبحانه، وهي العقيدة الوحيدة اليوم على ظهر الأرض الباقية على أصلها الرباني، وما حولها من عقائد في عالم اليوم ما هو إلا تصورات بشرية الأصل، أو سماوية دخلها التحريف والتبديل، وهذا ما يجعل للعقيدة الإسلامية قيمتها الفريدة اليوم.

وقد حاول سيد قطب - رحمه الله - أن يبيّن خصائص العقيدة ومقوماتها فألف كتابه " خصائص التصور الإسلامي ومقوماته " ورأى أن تحديد هذه الخصائص مسألة ضرورية لأسباب كثيرة منه:

١- أنه لابد للمسلم من تفسير شامل للوجود، يتعامل معه على أساسه، ويبين له طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق.

٢- ليعرف المسلم حقيقة مركزه في هذا الوجود، وغاية وجوده، وبالتالي يعرف دوره في هذا الوجود.

٣- ليحدد المسلم منهج حياته ونظامه بناء على التفسير الشامل للوجود ومعرفة مركزه ودوره فيه.

٤- لأن الإسلام جاء لينشئ أمة ذات طابع متميز متفرد، لقيادة البشرية وتحقيق منهج الله في الأرض، وإنقاذ البشرية من القيادات والمناهج والتصورات الضالة، وإدراك المسلم لخصائص العقيدة الإسلامية ومقوماتها يكفل له أن يكون عنصرًا صالحًا في بناء هذه الأمة المتميزة وقادرًا على القيادة والإنقاذ [1].

---

(١) خصائص التصور الإسلامي، ص ٥-٦ بتصرف.

ونظرًا لبعد الناس عن تدبر القرآن وما فيه من حقائق ترتبط بالعقيدة، ولانتشار المناهج الفلسفية والكلامية التي شوهت جمال العقيدة الإسلامية والتأثر بالفكر الغربي ، فقد حاول سيد قطب – رحمه الله – أن يقدم للناس حقائق " التصور الإسلامي" عن الله والكون والحياة والإنسان، من خلال النصوص القرآنية مصحوبة بالشرح والتجميع والتبويب، بهدف استجاشة المسلمين لتحقيق الحركة بالدين على ضوء هذا التصور[1] .

ويمكننا استعراض خصائص العقيدة الإسلامية التي تحدث عنها سيد قطب – رحمه الله- بإيجاز في ما يأتي :

أولًا : الربانية :

الخاصية الأولى للعقيدة الإسلامية أنها " ربانية " أي صادرة من الله تعالى وليست نتاج فكر بشري ، ولا بيئة معينة ولا فترة من الزمن خاصة ، ولا عوامل أرضية على وجه العموم ، إنما هي هدى موهوب للإنسان هبة خالصة من خالقه – سبحانه – رحمة به ، وبهذه الصفة تتميز العقيدة الإسلامية عما سواها ، وهي مفرق الطريق بين العقيدة الإسلامية والتصورات الأخرى، وثنية كانت أو فلسفية أو سماوية محرفة .

وهذا ما يعطيها قيمتها الكبرى ، ويجعلها وحدها مناط الثقة مبرأة من النقص والجهل والهوى موافقة للفطرة الإنسانية مُلبيةً لحاجاتها في جميع جوانبها، ودور الإنسان هنا هو تلقي هذه العقيدة من مصدرها الرباني ، وإدراكها وتطبيقها في واقع الحياة .

وهذه الخاصية تكشف لنا عن رحمة الله بهذا الإنسان ، حين لم يدعه يصنع تصوره الاعتقادي لنفسه ، لجهل الإنسان بحقيقة نفسه وحقيقة الكون الذي يعيش فيه ، وحقيقة الخالق جل وعلا . كما تكشف لنا عن حكمة الله ورعايته في حفظ أصول العقيدة الإسلامية بعيدة عن تحريف البشر لتبقى العقيدة الإسلامية ملاذاً للبشرية تفيء إليها فتجد فيها الهدى والسكينة والاطمئنان .

وحتى تتبين عظمة هذه الخاصية من خصائص العقيدة الإسلامية "الربانية"

(١) خصائص التصور الإسلامي ، ص ٧ وما بعدها.

فقد استعرض سيد - رحمه الله - واقع التصورات البشرية التي حاولت قديماً وحديثًا تفسير الكون والحياة والإنسان وما نتج عنها من تيهٍ وشقاءٍ وتعاسةٍ نتيجة لجهل الإنسان وتخبطه [١] .

ثانيا : الثبات :

ويقصد به ثبات مقومات العقيدة الإسلامية ، وقيمها الذاتية ، فهي لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير " ظواهر" الحياة الواقعية ،و" أشكال " الأوضاع العلمية ، وهذا الثبات لا يقتضي " تجميد " حركة الفكر والحياة ، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة لكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت .

ومن نماذج المقومات والقيم الثابتة في العقيدة الإسلامية :

١- حقيقة الألوهية وما يتعلق بها .

٢- حقيقة الوجود الإلهي ووحدانيته وقدرته و تدبيره للخلق .

٣- حقيقة أن كل ما سوى الله مخلوق له لا يشاركه في شيء من خصائص الألوهية

٤- حقيقة عبودية الأشياء والأحياء لله تعالى عبودية مطلقة .

٥- حقيقة أن الإيمان بأركانه الستة شرط لصحة الأعمال وقبولها .

٦- حقيقة أن الله لا يقبل من الناس دينًا سوى الإسلام .

٧- حقيقة أن الإنسان بجنسه مخلوق مكرم مستخلف في الأرض مسخر له كل ما فيها .

٨- حقيقة أن أصل الناس واحد أن التفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح .

٩- حقيقة أن غاية الوجود الإنساني هي العبادة لله ، بمفهومها الشامل .

١٠-حقيقة أن رابطة التجمع الإنساني هي العقيدة والمنهج الإلهي فقط .

١١-حقيقة أن الدنيا دار البلاء وعمل ، والآخرة دار حساب وجزاء .

---

(١) ينظر في بيان هذه الخاصية كلام سيد في خصائص التصور ، ص ٤٥- ٧٤ .

هذه وغيرها من المقومات والقيم كلها ثابتة ، غير قابلة للتغيير ولا للتطور ، وفي إطارها تتحرك ظواهر وأوضاع الحياة .

وهذا الثبات في مقومات العقيدة الإسلامية وقيمها مهم لضبط حركة البشر على الهدى لكونها تمثل الميزان الذي يرجعون إليه في كل ما يعرض لهم في الحياة ، فلا يضلون ولا يتأرجحون ، كما هو الحال عند الأمم التي لا تدين بالإسلام وعقيدته، أو عند من في عقيدته غبش .

وهو كذلك يقي الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من لوثه المادية والإلحاد، ويثبت الطمأنينة في المجتمع المسلم والضمير المسلم ويضمن تماسك الحياة الإسلامية . وبالتالي فإن من ينادي بزعزعة هذه الثوابت العقدية باسم التجديد أو الإصلاح هو عدوٌ للبشرية جمعاء [١] .

ثالثًا : الشمول :

والشمول من خصائص العقيدة الإسلامية ، ويقابله النقص والخطأ والمحدودية في التصورات البشرية ، ويتمثل الشمول في صورٍ شتى :

١- الشمول في رد كل الوجود وما فيه إلى إله واحد .

٢- الشمول في تقرير ألوهية الله وحدة ، وعبودية ما سواه له .

٣- الشمول في خطاب التصور الإسلامي للكيان الإنساني كله ، روحًا وعقلًا وجسمًا .

٤- الشمول في عرض حقائق الإسلام كلها ، عبادات ، ومعاملات ، وتشريعات [٢] .

رابعًا : التوازن :

من مقومات العقيدة الإسلامية ،وهو صمام الأمان في الحفاظ عليها من الإفراط والتفريط وللتوازن في العقيدة الإسلامية مظاهر عديدة منها :

---

(١) ينظر في بيان صفة الثبات . خصائص التصور الإسلامي ، ص ٧٥-٩٤ ، وفي ظلال القرآن ، ٥/ ٣٠٠١ .

(٢) ينظر في بيان صفة الشمول ، خصائص التصور الإسلامي ، ص ٩٥- ١١٨ ، وفي ظلال القرآن ،١/ ٤٧٣ ، ٢/ ١٠٠٩ .

١- التوازن بين ما لا يدركه العقل البشري من الغيبيات،وما يدركه من الماديات والمحسوسات

٢- التوازن بين المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية أو ما يسمى عند المتكلمين" الجبر والاختيار" .

٣- التوازن بين عبودية الإنسان لله ، وسيادته على الكون بأمر الله .

٤- التوازن بين الخوف والرجاء .

٥- التوازن بين الوحي والعقل في المعرفة الإسلامية .

٦- التوازن بين فاعلية الإنسان في الكون ، وفاعلية الكون في الإنسان [١] .

خامسًا: الإيجابية الفاعلة :

" إن العقيدة الإسلامية تنشئ في القلب حياة بعد الموت، وتطلق فيه نورًا بعد الظلمات ، حياة يُعيد بها تذوق كل شيء ، وتصور كل شيء ، وتقدير كل شيء بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة ، ونورًا يبدو كل شيء تحت أشعته في مجاله جديدًا كما لم يبدو من قبل قط " [٢] .

فالإسلام بعقيدته دين إيجابية ليس فيه سلبية ولا انعزالية كما هو الحال في النصرانية وغيرها .

ومن مظاهر الإيجابية والفاعلية في العقيدة الإسلامية :

١- الإيجابية الفاعلة المؤثرة في صفات الله تعالى كما تعرضها العقيدة الإسلامية ، بخلاف تصورات البشر لصفات الآلهة ، والتي تقوم على السلبية والانفكاك عن حياة البشر،كما هو الحال في تصورات الفلاسفة والمجوس واليهود والنصارى وغيرها من عقائد البشر .

٢- إيجابية المؤمن في الكون والحياة ، ويتمثل ذلك في :

---

(١) ينظر تفاصيل خاصة التوازن في خصائص التصور الإسلامي ، ص ١١٩- ١٥٠

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٠٠ .

أ - إيجابية المؤمن في إيمانه ، فالإيمان عقيدة وعمل وفق المنهج الإلهي .

ب- إيجابيته في العمل الصالح .

ج- إيجابيته في حركته العملية لإيجاد الإسلام في الواقع .

ولتحقيق الإيجابية في الواقع فإن الله - تعالى - أعان الإنسان بما وهبه من قوى واستعدادات، ومنهج مرسوم يسير عليه [١] .

سادسًا : الواقعية :

وهي تعني التحقق في عالم الواقع ، فليست خيالية أو نظرية ، بينما الواقعية عند الآخرين : تعني الرضا بالواقع والقبول به ، وإن خالف ما عليه الإنسان من عقيدة والتخلي عما يخالف الواقع وإن كان حقًا ، وهذا المعنى مرفوض في الإسلام .

ومن مظاهر الواقعية في العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي :

١- التعامل الواقعي مع الوجود الحقيقي القائم وحقائقه الموضوعية القائمة : (الله - الكون -الإنسان) فالله موجود ، موصوف بصفات الجمال والجلال والكمال ، وصفاته لها آثار إيجابية فاعلة مؤثرة ، والكون واقع قائم بذاته، مخلوق موجود محسوس ، له بداية وله نهاية ، والوجود الإنساني وجود واقعي قائم ، نظّمه الإسلام تنظيمًا محددًا [٢] .

٢- الواقعية في تحقيق المنهج الإسلامي ، فالتكاليف الإسلامية واقعية لأن الله لم يكلف نفسًا إلا وسعها ، والمؤمن باستطاعته أن ينفذها بعد أن يستعين بالله ، " وحيثما سار الإنسان مع هذه العقيدة ، وجد اليسر ومراعاة الطاقة البشرية والحالات المختلفة للإنسان ، والظروف التي يصادفها في جميع البيئات والأحوال ، العقيدة ذاتها سهلة التصور ، إلهٌ واحدٌ ليس كمثله شيء، أبدع كل شيء ، وهداه إلى غايته ووجوده ، وأرسل رسلًا تذكر الناس بغاية وجودهم، وتردهم إلى الله الذي خلقهم ، والتكاليف بعد ذلك كلها تنبثق

(١) ينظر خاصية الإيجابية في : خصائص التصور الإسلامي ، ص ١٥١- ١٦٨ .

(٢) ينظر خاصية الواقعية في: خصائص التصور الإسلامي ، ص ١٦٩- ١٨٧ .

من هذه العقيدة ، في تناسب مطلق لا عوج فيه ولا انحراف ، وعلى الناس أن يأتوا منها بما في طوقهم بلا حرج ولا مشقة "[١] .

" ثم هي العقيدة التي تعترف بالإنسان إنسانًا ، لا حيوانًا ،ولا حجرًا ،ولا ملكًا ، ولا شيطانًا تعترف به كما هو ، بما فيه من ضعف وقوة ، وتأخذه وحده شاملة مؤلفة من جسدٍ ذي نوازع ، وعقلٍ ذي تقدير ، وروح ذي أشواق ، وتفرض عليه من التكاليف ما يطيق ، وتراعي التنسيق بين التكاليف والطاقة بلا مشقة ولا إعنات ، وتلبي حاجات الجسد والعقل والروح في تناسب يمثل الفطرة . ثم تحمل الإنسان بعد ذلك تبعة اختياره للطريق الذي يختار "[٢] .

سابعًا : التوحيد :

التوحيد هو الحقيقة الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية وهو كذلك سمة من سماتها التي تنفرد بها من بين التصورات الاعتقادية والفلسفية السائدة في الأرض جميعًا .

والتوحيد هو الخاصية البارزة في كل دين جاء به من عند الله رسول .. ولكن التحريفات والانحرافات التي وقعت في تأريخ البشرية وطغيان الجاهليات على الديانات السماوية لم تبقِ في الأرض كلها عقيدة صحيحة قائمة على التوحيد المطلق إلا عقيدة الإسلام .

وخاصية التوحيد تقوم على أن الوجود يقوم على " ألوهية وعبودية " ، الله وحده هو الإله الخالق وكل ما سواه مخلوق عبد خاضع له سبحانه ،وهما وجودان متمايزان منفصلان ، لا كما يعتقده أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرهم من أصحاب العقائد المنحرفة، ومن مقتضيات التوحيد المطلق في العقيدة الإسلامية إفراد الله سبحانه بخصائص الألوهية والربوبية ، والتوجه إلى الله وحده في كل أعمال الإنسان وأحواله ، وهو بذلك يثمر نتائج إيجابية في حياة المسلم منها :

- توحد حياة المسلم وانضباط حركته وتناسق أعماله وتصوراته مع منهج

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٨٩٢ .

(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٤٤ ، وينظر أيضًا ، ٢/ ١٠١٣ .

التوحيد.

- الاستقامة في العمل والتعامل ، وعدم الانحراف أو الغلو .

- جمع قدرات وطاقات الشخصية المسلمة على هدف العبودية لله وحده .

- تحرير المؤمن من الخضوع أو العبودية لغير الله ، وتربيته على الشعور بالعزة والكرامة [١].

وبالتالي : فالعقيدة الإسلامية : " منهج حياة متكامل، يميز الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم " [٢].

- " عقيدة تتميزبالوضوح والاستقامة والنصاعة ، فلا شيء فيها يقوم على الظن أو الوهم " [٣] .

- و" تقوم على العنصر الأخلاقي وتحميه في عالم الشعور والواقع ، وفي علاقات الفرد والمجتمع " [٤] . و" تمثل الجمال والتكامل والتناسق في كل مقوماتها وجوانبها" [٥] .

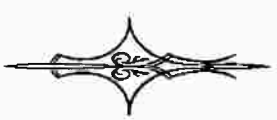

(١) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ،ص ١٨٩- ٢٠٧ ، وفي ظلال القرآن ، ٢/ ٦٥٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ١٢٩ .
(٣) المصدر السابق ، ٤/ ٣٢٢٧ .
(٤) المصدر السابق ، ٦/ ٣٦٥٧ .
(٥) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٤١ .

المطلب الثالث

وسائل الأعداء وأساليبهم في محاربة العقيدة الإسلامية

سبق معنا عند الحديث عن أهمية العقيدة الإسلامية القول : بأنها تمثل أساس المعركة بين الإسلام وأعدائه على مختلف أسمائهم ، " وأن ملل الكفر قد تختلف مع بعضها ، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ، ولكنها تلتقي دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين ، وهي معركةُ عقيدة في صميمها وحقيقتها ولكن الأعداء يلونونها بألوان شتى ، ويرفعون عليها أعلامًا شتى ، في خبث ومكر وتورية لأنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت رايةَ العقيدة ، ومن ثم راحوا يغيرون أعلام المعركة ، فلم يظهروها حربا باسم العقيدة على حقيقتها، خوفًا من حماسة العقيدة وجيشانها ، إنما أعلنوها باسم الأرض ، والاقتصاد، والسياسة ، والمراكز العسكرية وما إليها ، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن قضية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها ، ولا يجوز رفع رايتها وخوض المعركة باسمها، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين ، ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها ، بينما هم في قرارة نفوسهم - الصهيونية العالمية والصليبية العالمية بالإضافة إلى الشيوعية العالمية - جميعًا يخوضون المعركة أولًا وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية - العقيدة الإسلامية - التي نطحوها كثيرًا فأدمتهم جميعًا !! "[1] .

ولقد اطلع سيد - رحمه الله - على عظم المؤامرة على الإسلام وعقيدته من خلال حياته الأولى التي عاشها بعيدًا عن الإسلام ، يقرأ ما تكتبه الجاهلية ودعاتها المعاصرون ، وكذلك من خلال إطلاعه على جهود اليهود والنصارى والعلمانيين أثناء وجوده في أمريكا وبعد عودته منها الأمر الذي جعله يحذر من أساليبهم في محاربة العقيدة الإسلامية ، ويفضح كثيرًا من الرايات التي يرفعونها ، في مواضع كثيرة من كتاباته بعد التزامه بالإسلام .

---

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ١٠٨ ، بتصرف .

ويمكن بيان جهود سيد قطب – رحمه الله – في فضح وسائل أعداء الإسلام في حربهم للعقيدة الإسلامية والتحذير منها ، وذلك كما يأتي:

أولا : إخفاؤهم العداء للعقيدة ورفع راية للمعركة غير راية العقيدة:

من الحقائق التي ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل حقيقة : أن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليست شيئًا آخرًا على الإطلاق ، وأن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان ، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة ، إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئًا من هذا لسهل وقفها ... إنها قضية عقيدة ، ومعركة عقيدة ،... وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدوًا لهم ، فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ⑧ ﴾[1] .. وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة ، راية اقتصادية ، أو سياسية ، أو عنصرية كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة .. ويخدعوهم عن سلاح النصر الحقيقي ... ونحن نشهد نموذجًا في تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية اليوم أن تخدعنا عن حقيقة المعركة .. وأن تزور التاريخ ، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت شعارًا للاستعمار.. كلا.. إنما الاستعمار الذي جاء متأخرًا هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى" [2] .

ثانيًا : إثارة الشبهات لزعزعة العقيدة والتشكيك فيها :

" إن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب.. إنما كانوا يحاربونها، أولا في عقيدتها ، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك ، ونثر الشبهات ، وتدبير المؤامرات، كانوا يعمدون أولًا إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها ، ومنها قام وجودها ، فيُعمِلون فيها معاول الهدم والتوهين ، ذلك أنهم كانوا

---

(١) سورة البروج ، الآية (٨).

(٢) معالم في الطريق ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ ، بتصرف يسير .

يدركون - كما يدركون اليوم - أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل ، ولا تهُن إلا إذا وهنت عقيدتها، ولن يغلبوها على الأرض إلا إذا غلبوها على العقيدة وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة ولكن لنفس الغاية القديمة ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾[١]. " [٢].

" وتبرز هذه الوسيلة من وسائل حرب العقيدة في كتابات المستشرقين ، الذين يدرسون هذا الدين دراسة جادة عميقة فاحصة ، لا لأنهم يبحثون عن الحقيقة - كما يتوهم السذج من أهل هذا الدين - ولا لينصفوا هذا الدين وأهله ، - كما يتصور بعض المخدوعين حينما يرون اعترافًا من باحث أو مستشرق بجانب طيب في هذا الدين !- كلا ! إنما هم يقومون بهذه الدراسة الجادة العميقة الفاحصة ، لأنهم يبحثون عن مقتل لهذا الدين ، لأنهم يبحثون عن منافذه ومساربه إلى الفطرة ليسدوها أو يميعوها ، لأنهم يبحثون عن أسرار قوته ليقاوموه منها ، لأنهم يريدون أن يعرفوا كيف يبني نفسه في النفوس ليبنوا على غراره التصورات المضادة التي يريدون ملء فراغ الناس بها " [٣].

ثالثًا : ربط الناس بمفاهيم وقيم وضعية مقام المفاهيم والقيم العقدية:

" إن أشق ما تعانيه حركات الإسلام الحقيقية اليوم هو الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله ، ومدلول الإسلام في جانب وبمدلول الشرك والجاهلية في الجانب الآخر واختلاط الشارات والعناوين ... وقد عمل أعداء الإسلام على توسيع هذه الثغرة ، وتمييع الحقائق العقدية وتلبيسها حتى أصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله ﷺ [٤].

وأعداء الدين " يوجهون إليه جهودًا لا تكل وحملات لا تنقطع ، ويستخدمون

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٦٩) .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٥٤ و ٥/ ٢٨٤٦ بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٦١ .
(٤) المصدر السابق ، ٢/ ١١٠٦ بتصرف .

في تحريفه عن وجهته وفي تميع طبيعته كل الوسائل وكل الأجهزة وكل التجارب .. أنهم يضعون نظريات تأخذ شكل العقيدة والدين، لتحل محل العقيدة الإسلامية بوصفها قديمة غير متطورة وغير مناسبة لواقع البشر اليوم "[١].

" ولأنهم يعلمون أن قاعدة المجتمع المسلم التي يقوم عليها وتمثل نقطة القوة والحركة فيه هي العقيدة ، فقد عملوا على توهين تلك القاعدة – العقيدة – وإقامة أصنامًا تعبد من دون الله – اسمها تارة " الوطن " وتارة " القوم " وتارة " الجنس " وظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم " الشعوبية " وتارة باسم " الجنسية الطورانية" وتارة باسم " القومية العربية " وتارة بأسماء شتى تحملها جهات شتى ، تتصارع فيما بينها داخل المجتمع الإسلامي .. إلى أن وهنت القاعدة الأساسية – العقيدة – تحت المطارق المتوالية والإيحاءات الخبيثة المسمومة ، فأصبحت تلك " الأصنام " مقدسات يعتبر المنكر لها خارجًا على دين قومه ، أو خائنًا لمصالح بلده !!" [٢].

كما عمل الأعداء على زعزعة العقيدة الإسلامية والتشكيك فيها أيضًا ، من خلال الدس والتشويه ، فقد دسوا في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد قرون ، ولبسوا الحق بالباطل فيه .. دسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي ... وفي الحديث النبوي .. وفي التفسير القرآني .. وما يزالون من خلال المستشرقين وتلاميذهم الذين يشغلون مناصب القيادة الفكرية اليوم "[٣].

رابعًا : إيجاد المأجورين من المسلمين لتحريف الإسلام من الداخل :

" إن للقوى المناهضة للإسلام اليوم في أنحاء العالم جيشًا جرارًا من العملاء في صورة أساتذة وفلاسفة ، ودكاترة وباحثين وكتّاب وشعراء وفنانين وحرفيين،يحملون أسماء المسلمين ، لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة ! وبعضهم من " علماء " المسلمين ، هذا الجيش من العملاء موجه لـ :

أ- خلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب ، في صورة بحث وعلم وأدب

(١) المصدر السابق ، ٣/ ١٤٠٣ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ٤/ ١٨٩١ ، ٦/ ٣٧١٦ .
(٣) المصدر السابق ، ١/ ٤١٤ ، ٤/ ٢١٢٨ بتصرف.

وفن وصحافة .

ب- توهين قواعدها من الأساس .

ج- التهوين من شأن العقيدة والشريعة على سواء .

د- تأويلها- أي العقيدة - وتحميلها ما لا تطيق .

هـ-الدق المتصل على " رجعيتها " ! .

و- والدعوة إلى التفلت منها ، وإبعادها عن مجال الحياة إشفاقًا عليها من الحياة أو إشفاقًا على الحياة منها !.

ز- ابتداع تصورات وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها ، وتزين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية .

ح- إطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لتخر في الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثرًا .

ط- تشويه التاريخ كله وتحريفه ، وكذا تحريف النصوص " [1].

خامسًا : إشاعة ثقافة الإلحاد والعلمنة :

عمل أعداء الإسلام في العصر الحاضر على نشر وإشاعة ثقافة الإلحاد والشيوعية والعلمنة وكان وراء ذلك اليهود ومن والاهم ، حيث عملوا على دعم المذاهب الإلحادية كالشيوعية والوجودية الداروينية وغيرها من المذاهب المادية الإلحادية لتدمير قاعدة الحياة البشرية ، ولما لم يفلحوا في تحويل العالم الإسلامي إلى الإلحاد، وخاصة بعد فشل تجربة أتاتورك ، وصعود نجم الصحوة الإسلامية التي تحمل مشاعل العقيدة الإسلامية من جديد في وجه الإلحاد ، فقد تحول اهتمام وخطط أعداء الإسلام جميعًا إلى نشر ثقافة العلمنة ، وتحويل الدين إلى مجرد مشاعر وشعائر، وطرده من واقع الحياة ، وإيهام المعتقدين به أنهم يمكن أن يظلوا مؤمنين بالله مع أن

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ٤١٥ بتصرف .

هناك أربابًا أخرى تشرع لحياتهم من دون الله [١].

" والعلمانيون اليوم لا يستطيعوا أن يتبجحوا تبجح الشيوعيين الملحدين ، فينفعون وجود الله جملة ويتنكروا للدين علانية ، إنما يلجأون إلى أسلوب خبيث حيث يقولون . إنهم يحترمون الدين ! ويزعمون أن ما يشرعونه للناس له أصل من هذا الدين ! ليخدروا العاطفة الدينية ، وهو أسلوب ألأم وأخبث من أسلوب الشيوعيين الملحدين " [٢].

سادسًا : محاربة حملة العقيدة الحقة :وذلك من خلال :

١ - الدعاية الإعلامية وتشويه صورة حملة العقيدة :

" حيث عملوا على تشويه العقيدة وإثارة الغبار حولها وحول نبيها ﷺ بشتى الأساليب ، كي لا ينضم إليها مؤمنون جدد ، فمنع الناس من الانضمام إلى راية العقيدة قد يكون أيسر من فتنة الذين عرفوا حقيقتها وذاقوها " [٣].

٢ - إغراء حملة العقيدة ومساومتهم لتركها أو بعضها :

وهو أسلوب قديم استعمله الكفار مع النبي ﷺ كثيرًا يشير إليه قوله سبحانه: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [٤]. فهي إذًا محاولات في صور شتى لم يفصلها النص هنا لكنها مفصلة في كتب السير ، هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله ﷺ هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائمًا،محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلًا عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحلول الوسط مقابل مغانم كثيرة، وهي تعديلات طفيفة في البداية لكنها تنتهي إلى الانحراف الكامل عن الطريق " [٥].

---

(١) ينظر كلام سيد حول ذلك في :في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٣٢ ،٣/ ١٢٢٠-١٢٢١.
(٢) المصدر السابق ، ٢/ ١٢١٩-١٢٢٠ ، بتصرف ، ٢/ ١٤٠٣ .
(٣) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٨٤ ،
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٧٣- ٧٤ .
(٥) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٢٤٥ ، بتصرف ، ٦/ ٣٦٥٩ ،

كما يشير إلى هذه المحاولة أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[١]. فهي المساومة إذن ، والالتقاء في منتصف الطريق ، كما يفعلون في التجارة ، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير ! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها ، لأن الصغير منها كبير بل ليس في العقيدة صغير وكبير ، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء "[٢].

٣- الحرب الاقتصادية للتضييق على حملة العقيدة :

ويظهر هذا الأسلوب واضحًا في قوله تعالى عن المنافقين : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾[٣] . " وهي مقولة يتجلى فيها خبث الطبع ولؤم النحيزة [٤]، خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان في حرب العقيدة ومناهضة الأديان .. هي خطة قريش عندما قاطعت الرسول ﷺ وبني هاشم في الشعب.. وهي خطة المنافقين في المدينة .. وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين ، ليموتوا جوعًا أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة ،.. وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق ، وهكذا يتوافر على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان ، من قديم الزمان إلى هذا الزمان ، ناسين قوله سبحانه﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾[٥][٦] .

٤- سحق حملة العقيدة وتصفيتهم :

وهذه الوسيلة لا يلجأون إليها إلا بعد فشل الوسائل السابقة في فتنة حملة العقيدة - غالبًا - لأن من عرف حقيقة العقيدة وذاقها يصعب فتنته .[٧]

ولهذا نجد القرآن الكريم يعرض مشاهد شتى لفتنة حملة الدين والعقيدة على

(١) سورة القلم ، الآية ٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٦٥٨ و ٣٧٨٤ .
(٣) سورة المنافقون ، الآية ٧ .
(٤) النحيزة : الطبيعة، ونحيزة الرجل طبيعته ، وجمعها نحائز ، انظر: لسان العرب ١٤/ ٧٠ .
(٥) سورة المنافقون ، الآية ٧
(٦) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٥٧٩ .
(٧) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٨٤ ، بتصرف .

مر الزمان وما سحق طلائع البعث الإسلامي اليوم إلا حلقة في مسلسل حرب العقيدة وأصحابها [١] .

مواجهة أساليب الأعداء في حرب العقيدة :

أشار سيد قطب إلى المنهج القرآني في مواجهة أساليب الأعداء في حرب العقيدة الإسلامية حيث كان القرآن الكريم :

أولا : يأخذ الجماعة المسلمة بالتثبيت على الحق الذي هي عليه .

وثانيًا: ينفي الشبهات والشكوك التي يلقيها أهل الكتاب .

وثالثًا: يجلو لهم الحقيقة الكبيرة التي يتضمنها هذا الدين الذي يحملونه .

ورابعًا: يقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها في هذه الأرض ، ودورها ودور العقيدة التي تحملها في تاريخ البشرية .

وخامسًا: يحذرها من كيد الكائدين ، ويكشف لها نواياهم ووسائلهم القذرة وأهدافهم الخطرة ، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين .

وسادسًا: يأخذها بتقرير حقيقة القوى ، وموازينها في هذا الوجود ، فيبين لها هزال أعدائها وهوانهم على الله ، وضلالهم وكفرهم ، .. كما يبين لها أن الله معها ، وهو مالك الملك " [٢] .

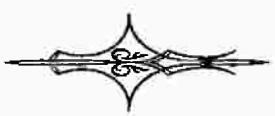

(١) ينظر في ذلك المصدر السابق ، ١/ ٢٩٤ ، ٣/ ١٤٠٣ ، ١٥٩٣ ، ٦/ ٣٧٨٤ ، ومعالم في الطريق ، ص ١٨٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٥٤ ، بتصرف يسير .

المبحث الثاني

منهجه في عرض العقيدة والدعوة إليها

كان من قواعد منهج سيد قطب في التفسير " بيان أهمية العقيدة وأثرها " من خلال استلهامها من القرآن الكريم ، واستحضار الجو الذي تنزلت فيه الآيات -بقدر الإمكان - وتجاوز الخلاف الكلامي والجدل الذي ثار حول قضايا العقيدة الإسلامية .

وكان من قواعد منهجه أيضًا أن تعرض العقيدة كما هي في سياق القرآن الكريم، فهو قالبها الأصيل، رافضًا عرض العقيدة في قالب الفلسفة أو علم الكلام كما فعل رجال الفرق الكلامية [١]

وقد وقف سيد قطب من خلال تأمله لنصوص القرآن والحياة في ظلالها ،على طريقة القرآن في عرض العقيدة ،ومن ثم إدراك سر تفاعل الصحابة الكرام بحقائق العقيدة.. وقارن بين هذا وبين عرض المتأخرين للعقيدة ، حتى أصبحت قضايا نظرية فلسفية معقدة .

ونتيجة لذلك فقد كان سيد - رحمه الله - يركز كثيرًا على منهج عرض العقيدة، والدعوة إليها وبيان خصائصها ومقوماتها ليعود لها صفاؤها ونقاؤها ، ويعود لها دورها العملي ومهمتها الإيجابية في الحياة [٢]

ويقوم منهج سيد قطب - رحمه الله - في عرض مسائل العقيدة والدعوة إليها على الآتي :

١ - بيان عناية الإسلام الموجهة إلى تحرير أمر العقيدة : وتحديد التصور الصحيح الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته ، وعلاقته بالخلائق ، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين ، من خلال إرساء التوحيد الكامل الخالص.. الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا بعيد.. وهذا الجهد المتطاول تمثله النصوص القرآنية

(١) ينظر : المنهج الحركي في ظلال القرآن ، د/ صلاح الخالدي ، ص ٤٣٥ ، وما بعدها بتصرف .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ، ص ٤٨ ، وما بعدها بتصرف .

الكثيرة ، والتي تكشف عن عظمة الدور الذي تقوم به العقيدة في تحرير الضمير البشري ، وإطلاقه من التخبط بين شتى الأرباب وكل هذا يتجلى من خلال مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصورات ، حيث تبدو العقيدة الإسلامية عندئذٍ رحمة بما فيها من جمال وبساطة ووضوح وتناسق، وتجاوب مع الفطرة [١] .

٢- **الاهتمام بتصحيح التصور الاعتقادي وإقامته على قاعدة التوحيد الكامل** : باعتبار العقيدة تمثل القاعدة والمحور لكل نشاط إنساني [٢] ، لذلك نجد أن المنهج القرآني لم يبدأ بعلاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها السلوكية ، وإنما بدأ من عقدة النفس البشرية الأولى ، عقدة العقيدة ، بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره ، وإقامة التصور الإسلامي الصحيح ، وبين للناس فساد تصوراتهم ، بدأ من شهادة أن لا إله إلا الله ، وطالت فترة إنشاء لا إله إلا الله حتى بلغت نحو ثلاثة عشر عامًا، كانت الغاية فيها تعريف الناس بإلههم الحق ، وتعبيدهم له حتى إذا خلصت نفوسهم لله ، وأصبحوا لا يجدون لأنفسهم خيرة إلا ما يختاره الله ، عندئذ بدأت التكاليف ، وتنقية رواسب الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والسلوكية ، بدأت في الوقت الذي يأمر الله فيطيع العباد بلا جدال[٣] .

*وأصحاب الدعوة إلى دين الله ، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة ، خليقون أن يقفوا طويلًا أمام هذه الظاهرة الكبيرة ، .. ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاما لتقرير هذه العقيدة ، وعدم تجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها مع أن هناك طرقًا أخرى أيسر منها للوصول إلى قلوب العرب بدون هذا العناء ، كطريق القومية، أو الثورة على الطبقات ، أو الدعوى الإصلاحية الأخلاقية، ولكن الله سبحانه وتعالى – وهو العليم الحكيم – لم يوجه رسول الله ﷺ إلى مثل هذه الطرق التي لا تقوم على العقيدة . ولكن عندما تقررت العقيدة في النفوس بعد هذا الجهد الشاق ، قام الدين في الأرض وتطهرت من كل الرذائل ، فمنهج القرآن يجعل من بناء العقيدة وتمكينها وشمولها لشعاب النفس كلها ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة ، وضمانًا لاستقرار النظام

(١) في ظلال القرآن – سيد قطب – ١/ ٢٣- ٢٤،بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٤٦ .
(٣) المصدر السابق ، ٢/ ٩٧٣-٩٧٤ ، بتصرف .

الذي يقوم عليها [١]، ويصبح تصحيح المخالفات القانونية أو الانحراف الأخلاقي أو السلوكي أو التعبدي بعيدًا عن إصلاح القاعدة الأساسية " العقيدة " اشتغالا بالفرع دون الأصل [٢] .

٣- الوضوح والتميز في الدعوة إلى العقيدة وعدم التأثر بالواقع المنحرف: وذلك لأن دين الله ليس رايةً ولا شعارًا ولا وراثة ، إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء ، تتمثل في عقيدة وشعائر ونظام يصرف الحياة ، وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة [٣] .

إن كلمة الحق في العقيدة لا ينبغي أن تجمجم[٤]! إنها يجب أن تبلّغ كاملة فاصلة، وليقل من شاء من المعارضين لها كيف شاء ، وليفعل من شاء من أعدائها ما يفعل، فإن كلمة الحق في العقيدة لا تملق الأهواء ، ولا تراعي مواقع الرغبات.. إن كلمة الحق في العقيدة حين تصدع تصل إلى مكامن القلوب التي يكمن فيها الاستعداد للهدى.. وحين تجمجم لا تلين لها القلوب التي لا استعداد فيها للإيمان وهي القلوب التي قد يطمع صاحب الدعوة في أن تستجيب له لو داهنها في بعض الحقيقة ! [٥] .

وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق ، وعن الفاصل الحاسم بين حقه وباطلهم.. حين يفعل ذلك مراعاة للظروف والملابسات ، وحذرًا من مواجهة واقع الناس .. فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم ، لأنه لم يعرفهم حقيقة المطلوب منهم كله [٦] .

إن محاولة بلورة العقيدة الإسلامية في صورة " نظرية مذهبية " على الورق كالنظرية الأرضية ،دون مواجهة أوضاع الجاهلية المنحرفة في واقع الناس محاولة

---

(١) المصدر السابق ، ٢/ ١٠٠٥-١٠٠٩ ، ١٠١٥ بتصرف ، ومعالم في الطريق: " فصل طبيعة المنهج القرآني " ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٣٠ بتصرف.

(٣) المصدر السابق ، ٢/ ٩٤٠ .

(٤) قال في القاموس : "والجمجمة أن لا يبين كلامه " .

(٥) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٣٨ .

(٦) المصدر السابق ، ٢/ ٩٤١ بتصرف .

ذليلة .. وأذل منها محاولة من يضعون على الإسلام أقنعة أخرى مما يروج عند الناس كالاشتراكية ، والديمقراطية وما إليها، ظانين أنهم يخدمون الإسلام .. إن الإسلام هو الإسلام ، والاشتراكية هي الاشتراكية، والديمقراطية هي الديمقراطية.. ولا ينبغي للداعية أن يستجيب لإغراء الزي الرائج من أزياء الهوى البشري [١].

ينبغي ألا نتدسس للناس بالإسلام تدسسًا ، ولا نُربّت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة ، بل نكون معهم صرحاء غاية الصراحة[٢] . والصراحة والقوة والحسم في إلقاء كلمة العقيدة لا تعني الخشونة والفظاظة ، بل تعني عدم المداهنة في بيان كلمة الحق كاملة في العقيدة وعدم اللقاء في منتصف الطريق في الحقيقة ذاتها ، فالحقائق الاعتقادية ليس فيها أنصاف حلول فالتلطف في دعوة الناس إنما يكون في الأسلوب لا في الحقيقة [٣] .

٤- بناء العقيدة والدعوة إليها من خلال الحركة بها في الواقع لا مجرد الدراسة النظرية

"إن المنهج القرآني لا يقدم العقيدة في صورة " نظرية " للدراسة ، فهذا مجرد علم لا ينشئ في عالم الضمير ولا في عالم الحياة شيئًا ، ولا يعصم من الهوى ، ولا يرفع من ثقلة الشهوات شيئًا ، ولا يدفع الشيطان ، بل ربما ذلل له الطريق وعبدها " [٤] .

" إن القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حية واقعية .. مع الركام المعطل للفطرة، في نفوس آدمية حاضرة .. فشكل النظرية والجدل الذهني ليس هو الشكل المناسب ... لقد كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بهذه الجماعة المسلمة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها ، ومع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها .. ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة لا في صورة نظرية، ولا في صورة لاهوت ، ولا في صورة جدل كلامي ،ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة ، ممثل في الجماعة المسلمة ذاتها ، وإنه لمن الضروري لأصحاب الدعوة الإسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه في الحركة على هذا النحو .. ليعلموا أن مرحلة بناء العقيدة التي طالت في العهد المكي لم تكن مرحلة تلقي " النظرية" ودراستها ، لكنها كانت مرحلة البناء القاعدي للعقيدة

---

(١) المصدر السابق ، ٢/ ١٠٨٣ بتصرف .

(٢) يراجع : فصل" نقله بعيدة" من كتاب معالم في الطريق ص : ١٦٢ - ١٧٧ .

(٣) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٣٨/ ٩٤١ ، بتصرف ، وينظر أيضًا : مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٩ ، وما بعدها

(٤) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٣٩٩ .

وللجماعة وللحركة وللوجود الفعلي معًا .. وهكذا ينبغي أن تكون كلما أريد إعادة هذا البناء مرة أخرى. ومن هنا ندرك خطأ وخطر محاولة تحويل العقيدة الإسلامية الحية التي يجب أن تتمثل في واقع تام حي متحرك إلى " نظرية " للدراسة والمعرفة الثقافية لمجرد أننا نريد أن نواجه " النظريات " البشرية الهزيلة بنظرية إسلامية "[١].

٥- الابتعاد عن المناهج الكلامية والفلسفية في عرض العقيدة والدعوة إليها : " لم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسلوب الجدلي الذي وجد فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة، لأن الله يعلم أن هذا الأسلوب لا يصل إلى القلوب ولا يتجاوز منطقة الذهن الباردة ، التي لا تدفع إلى حركة ولا تؤدي إلى بناء حياة "[٢].

لذا لا بد أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة ، إذ أن محاولة عرضها بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفئ إشعاعها ... لأن هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة ، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة ، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية ، وتلك المحاولات المضطربة التي تضمنتها الفلسفة والمباحث اللاهوتية، حيث تبدوا " الفلسفة الإسلامية " – كما سميت – ومعها مباحث "علم الكلام " غريبة غربة كاملة على الإسلام وطبيعته ومنهجه وأسلوبه ..أدت إلى تخليط كثير شابَ صفاء التصور الإسلامي وأصابه بالسطحية ، ولن يخلص التصور الإسلاميّ من التشويه والانحراف والمسخ ، إلا حين نلقي عن جملة بكل ما أطلق عليه اسم "الفلسفة الإسلامية " ، وبكل مباحث " علم الكلام " ، وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور ، ونعود إلى القرآن نستمد منه عقيدتنا ونعرضها بمنهجه وأسلوبه[٣].

٦- عرض العقيدة من خلال الحقائق الكونية ومخاطبة الفطرة بها : " إن المنهج القرآني في تكوين التصور الإسلامي يتكئ على ما في السموات والأرض ويستلهم هذا الكون ، ويوجه إليه النظر والسمع والقلب والعقل ،ويجعل الكون كله معرضًا

---

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠١٢- ١٠١٤ و٣/ ١٥٥٧ بتصرف ، ومقومات التصور الإسلامي، ص١٧ ، ونحو مجتمع إسلامي ، ص ٣٤.

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٧٦٦.

(٣) خصائص التصور الإسلامي ، فصل: "كلمة في المنهج " ص ٥-٢٢ ، بتصرف ، و ينظر كذلك موقف سيد قطب من الفلسفة وعلم الكلام في الفصل الأول من هذا الباب .

لآيات الإيمان ودلائله ، وصفحة مفتوحة للحواس والقلب ، تبحث فيها عن آيات الله وترى دلائل وجوده ووحدانيته .

ومشاهد الكون حاضرة أبدًا .. لكنها تفقد جدتها في نفوس الناس بطول الأُلفة والتكرار ومع ذلك نجد القرآن يجعل من مألوفات البشر قضايا كونية كبرى، يكشف فيها عن حقيقة الألوهية ، وينشئ بها عقيدة ضخمة شاملة ، ويجعل منها دلائل وبراهين تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر ، ولا يتخذ طرائق الجدل الذهني البارد والقضايا المنطقية التي لا حياة فيها ولا حركة ، تلك التي وفدت على التفكير الإسلامي من خارجه فظلت غريبة عليه ، وفي القرآن المثل والمنهج والطريق [١].

٧- عرض العقيدة من خلال الإقناع العقلي والجدل بالحسنى : باعتبار" أن نشر العقيدة بالإقناع والحجة هو قاعدة هذه الحركة " [٢].

" وقضية العقيدة – كما جاء بها هذا الدين – قضية اقتناع بعد البيان والإدراك ، وليست قضية إكراه.. ولقد جاء الدين ليخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقته، يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة ، والوجدان المنفعل ، والفطرة المستكنة " [٣].

" ويقف البشر أمام مشاهدات الكون وأطواء النفس التي لا يملكون إنكارها ، ولا يملكون تعليلها بغير التسليم بوجود الخالق الواحد المدبر القدير ، ويعرض القرآن على الكفار مشاهد وأسئلة حول خلق السموات والأرض وإنزال الماء وإنبات النبات ، وبسط الأرض وإجراء الأنهار وتثبيت الجبال وإجابة المضطر وهداية الضال ، وإرسال الرياح ، وبدء الخلق وإعادته ، وتيسير الرزق .. وغيرها مما يملأ صفحة هذا الوجود من حولهم ، ويأخذهم بما هو مستقر في فطرهم مما لا يملكون معه إلا الإقرار بالله وحده ، فوجود الكون بما فيه والإنسان لا يملك أحد إنكاره ،ولا يملك الإدعاء بأنه وجد من دون موجد ،أو أن الخلق هم الذين أوجدوه، وبالتالي لا بد من التسليم بوجود إله خالق قدير واحد ، حيث يردهم في النهاية إلى هذه الحقائق التي يغفلون عنها في تحد وإفحام : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٨٢٢ ، ٣/ ٣٤٦٦ ، ٥/ ٢٧٢٩ ، بتصرف يسير ، وينظر ايضًا ، ٣/ ٢٢٣٠ ، ٥/ ٢٥٨٥ ، ٢٧٥١ ، ٣١٠٦ ، ٦/ ٣٤٦٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٥٨٨ الهامش ٢ .

(٣) المصدر السابق ، ١/ ٢٩١ .

بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [١]. إذًا لا بد من أن نعرض العقيدة وندعوا إليها من خلال طريقة القرآن ، فنستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس لإيقاظ الفطرة، واستجاشة المشاعر بما هو مركوز فيها ، ونصل بهذا إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون ، وأغوار النفس والتي لا تقبل المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد والمسمى بـ " علم الكلام " [٢].

أما الجدل في دعوة المخالفين في العقيدة فينبغي أن يكون بالتي هي أحسن . ذلك أن الداعية لا يدعو لشخصه ولا لقومه ، بل يدعو إلى سبيل الله ، .. والدعوة بالحكمة ، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم وطريقة دعوته وتنوعها ، من موعظة حسُنَة ، ورفق وجدل بالتي هي أحسن ، تؤلف القلوب النافرة ، وتجعل المدعو يحس باحترام الداعي له ، ويعرف أن هدف الداعي كشف الحقيقة في ذاتها ، ومنفعة المدعو ، وليس الغلبة في الجدل [٣].

٨- الدعوة إلى العقيدة من خلال القدوة : إن المطابقة بين العقيدة التي ندعو إليها وبين السلوك أمر يجعل الناس يثقون بالداعية وما يدعو إليه " فالدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولا جميلا ، ويشهدون فعلا قبيحا فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين . إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة ، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقًا إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيًا لما ينطق ..عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق .. إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها ، إنها تستحيل يومئذ دفعةُ حياة، لأنها منبثقة من حياة .

والمطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك ،ليست مع هذا أمرًا

(١) سورة النمل ، آية ٦٤ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٥/ ٢٦٥٤ ، ٢٦٦٣ ، بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٢٠١ - ٢٢٠٢ ، بتصرف .

هينا، ولا طريقًا معبدًا ، إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلة بالله واستمداد منه،واستعانة بهديه، فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيرًا ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره، أو عما يدعو إليه غيره، والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه،وقد يغالبها مرة ومرة ومرة، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي قوي، أقوى من كل قوي، قوي على شهوته وضعفه، قوي على ضروراته واضطرارا ته، قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه"[1] .

٩- عرض العقيدة من خلال الترغيب والترهيب : " وذلك لأن منهج القرآن منهج هداية قبل كل شيء، فهو يخاطب البشرية ويرغبها في التوبة إلى الله والرجوع إلى منهجه ويرهبهم من التولي وينذرهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة [2].

إن الذي يقرأ القرآن ويستحضر أحداث السيرة يشعر بالقوة الغالبة والسلطان البالغ الذي كان القرآن يواجه به النفوس ويروضها حتى تسلس قيادتها راغبة مختارة .. ويرى أنه كان يواجه النفوس بأساليب متنوعة تنوعًا عجيبًا .. تارة يواجهها بما يشبه الطوفان الغامر من الدلائل الموحية والمؤثرات الجارفة! وتارة يواجهها بما يشبه الهراسة الساحقة ، التي لا يثبت لها شيء مما هو راسخ في كيانها من التصورات والرواسب ! وتارة يواجهها بما يشبه السياط اللاذعة تلهب الحس فلا يطيق وقعها ولا يصبر على لذعها ! وتارة يواجهها بما يشبه المناجاة الحبيبة والمسارّة الودود ، التي تهفو لها المشاعر وتأنس لها القلوب ، وتارة يواجهها بالهول المرعب والصرخة المفزعة التي تفتح الأعين على الحظر الداهم القريب ، وتارة يواجهها بالحقيقة في بساطة ونصاعة لا تدع مجالا للتفلت عنها ولا الجدل فيها ، وتارة يواجهها بالرجاء الصبوح والأمل الذي يهتف لها ويناجيها ، وتارة يتخلل مساربها ودروبها ومنحنياتها فيلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها فترى ما يجري في داخلها رأي العين .. ومئات من اللمسات.. واللفتات .. والهتافات .. والمؤثرات، يطلع عليها قارئ القرآن وهو يتبع تلك المعركة الطويلة ، وذلك العلاج البطيء ،

(١) المصدر السابق ، ١/ ٦٨ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق ، ٣/ ١٥٩٩ بتصرف ، و ٦/ ٣٦٤٧ .

ويرى كيف انتصر القرآن على الجاهلية "[١].

١٠- عرض العقيدة والدعوة إليها من خلال الثبات عليها والصبر على الأذى في سبيلها :

" البلاء لا بد منه لتربية النفوس.. لا بد منه ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها، كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها،كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها.. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرًا مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ولا صبروا عليه،وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها مندفعين إليها" [٢].

" إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها في بوتقة الألم فيصفو عنصرها ويضيء ، ويهب العقيدة عمقًا وقوة وحيوية ، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها ، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجًا كما وقع ، وكما يقع في كل قضية حق ، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق ، حتى إذا ثبتوا للمحنة أنحاز إليهم من كانوا يحاربونهم وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين .

وحتى لو لم يقع هذا فإنه يقع ما هو أعظم منه في حقيقته ، أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها ، وتنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة ، والحياة نفسها في النهاية ، وهذا كسب للبشرية كلها ، يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون [٣].

١١- الدعوة إلى العقيدة من خلال رد الشبهات عنها :" إن أعداء الأمة المسلمة يحاربونها أولًا في عقيدتها بالدس والتشكيك ، ونثر الشبهات ، وتدبير المناورات، لإدراكهم أن الأمة لا تهن إلا إذا وهنت عقيدتها ، ولا تهزم إلا إذا هزمت روحها

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٦٩٢- ٣٦٩٣ ، بتصرف ،وينظر أيضًا : ٥/ ٢٧٢٨ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ١٤٥ .
(٣) المصدر السابق ، ١/ ٢١٩ ، بتصرف يسير ، وينظر كذلك ، ٣/ ١٣١٨، ٤/ ٢٣٩٤.

وتترقى وسائل الكيد لهذه العقيدة والتوهين من عراها بترقي حياة البشر ، وقد كان القرآن الكريم يدفع هذا السلاح المسموم - الشبهات - بأن يأخذ الجماعة المسلمة بالتثبيت على الحق الذي هي عليه ، وينفي الشبهات والشكوك التي يلقيها الأعداء ، ويجلو الحقيقة التي يتضمنها هذا الدين ويقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها في هذه الأرض ، ودورها ودور العقيدة التي تحملها في تاريخ البشرية ، كما كان يحذرها من كيد الكائدين ، ويكشف لها نواياهم المستترة ، ووسائلهم القذرة ، وأهدافهم الخطرة ، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين[1].

١٢ - الدعوة إلى العقيدة من خلال إزاحة الطواغيت من طريقها بالجهاد : " لقد انتضى الإسلام السيف ، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل ، لا ليكره أحدًا على الإسلام، ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد :

١- جاهد الإسلام أولًا ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة ،ويكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، فالاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها، فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة، وإذ كان مأذونا للمؤمن أن يدفع عن حياته وماله فمن باب أولى هو مأذون له أن يدفع عن عقيدته ، وكل الحروب على مدى تاريخ الصراع بين الإسلام والكفر كانت موجهة إلى العقيدة ، لذا لا بد من الجهاد لحماية العقيدة .

٢- جاهد الإسلام ثانيًا لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - حيث جاء بأكمل تصور للوجود والحياة ،وأرقى نظام للبشرية، ولا بد من إبلاغه للبشرية فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر،.. ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات عن طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة .. وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا، ومن هذه الحواجز: النظم الطاغية التي تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين ، فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية ، ويقيم مكانها نظامًا عادلًا يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان ، وما يزال هذا الهدف قائمًا، وما يزال الجهاد مفروضًا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين ! "[2] .

---

(١) المصدر السابق ، ١/ ٣٥٤ ، بتصرف يسير .

(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٢٩٤ ، بتصرف يسير. وينظر أيضًا ١/ ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٣/ ١٤٣١ ، ١٤٤٣ .

المبحث الثالث

موقفه من المخالفين

توطئة : من معالم منهج السلف الصالح في العقيدة قيامه على أمرين هما :

الأول : بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة ، والاهتمام بمصادرها ، تأصيلًا واستدلالًا وفهمًا .

الثاني : الرد على المناوئين لهذه العقيدة ، والمخالفين لها من أهل الأديان الأخرى والفرق المنحرفة وسائر طوائف أهل البدع والأهواء ، وتفنيد شبهاتهم وافتراءاتهم في العقيدة والشريعة .

وجهود علماء أهل السُّنَّة والجماعة في بيان هذين الأمرين كثيرة جدًا ابتداءً من القرن الثالث الهجري ، وإلى يومنا هذا ، ففي كل عصر نجد من يقوم بالمنافحة عن العقيدة ، والرد على الأباطيل المنتشرة في عصره، ويقف في وجه التيارات المنحرفة.

وسنقف في هذا المبحث على موقف سيد قطب – رحمه الله – من الديانات والفرق والحركات الموجودة في عصره ومنهجه في الرد على الانحرافات العقدية عند المخالفين . ومعلوم أن سيد – رحمه الله – عاش في بداية القرن الثالث عشر الهجري – العشرين الميلادي– وهي فترة شهدت صراعًا بين الأديان والحضارات، وظهرت فيها كثير من الأفكار والحركات والجماعات مختلفة التوجه والأهداف ، وزاد فيها خط الانحراف عن العقيدة الصحيحة .

وقد كان لسيد – رحمه الله – مواقف واضحة من المخالفين عقديًا ، و في كتاباته الإسلامية كشف وفضح لحقيقة كثير من التوجهات والشعارات التي عاصرها .

كما ركز– كثيرًا– على منهج القرآن في العقيدة والحركة بها ، والذي يقوم على:

* بيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين .

* بيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الظالمين المجرمين، وذلك لسببين :

الأول : أن إنشاء اليقين الاعتقادي بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر

الثاني : لأن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق بأنه على الحق ، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل [١].

ومن هنا يرى سيد : " أنه يجب على كل حركة إسلامية أن تبدأ بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ، ووضع العنوان المميز لكلٍ منهما في عالم الواقع لا في عالم النظريات ، فيعرف أصحاب الدعوة والحركة الإسلامية من هم المؤمنون ممن حولهم ، ومن هم المجرمون، بحيث لا يختلط السبيلان ، ولا يتشابه العنوانان ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين وهذا التميز بين الطريقين كان واضحًا في حياة المسلمين الأولى ، بينما المشقة تكمن اليوم في الغموض والغبش الذي أحاط بمدلول الإسلام في جانب ومدلول الشرك والجاهلية في جانب آخر مما أدى إلى عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين .. " [٢] .

وبناءً على ذلك يمكن أن نبين موقف سيد قطب من المخالفين في المطالب الآتية :

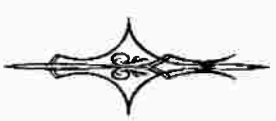

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١٠٥ بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١٠٦ ، و ٢/ ٧٩٧ ، ٩١٥ ، ٩٥٢ ، بتصرف.

المطلب الأول

موقفه من أهل الكتاب

والمقصود بأهل الكتاب: اليهود والنصارى [١]. وقد حكم الإسلام في أهل الكتاب بحكمين :

حكم علمي : في بيان حقيقة ما هم عليه من الاعتقادات والأعمال وتعيين مسمَّاهم في باب أسماء الدين والإيمان، وبيان جزائهم في باب وعيد الله .

حكم عملي : في وصف معاملتهم ، وما يختصون به من أحكام دون سائر الناس.

والمتتبع لكلام سيد - رحمه الله - يجد أنه عمل على بيان هذين الحكمين من خلال بيان انحرافات أهل الكتاب ، وتحريفاتهم والرد على كثير من ضلالاتهم العقدية وغيرها.

كما حاول من خلال كتاباته وخاصة في الظلال تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة ما عليه أهل الكتاب من انحراف في تاريخهم القديم والمعاصر، وبيان معالم العلاقة التي ينبغي أن تحكم تعامل المسلمين مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار .

أما ما يتعلق بالحكم الأول " العلمي " عند سيد قطب فيمكن بيانه من خلال المعالم الآتية :

١ - كفر أهل الكتاب وبطلان ما هم عليه من الدين :

وقف سيد كثيرًا في ظلال الآيات التي تتحدث عن كفر اليهود والنصارى ، وبيّن ضلال عقائدهم ووثنيتها ومضاهاتها لعقائد المشركين، وبين أن وصف الكفر والضلال والوثنية ينطبق على حال أهل الكتاب على عهد رسول الله ﷺ وعلى حالهم اليوم وغدًا وفي كل حين ، مهما تكن دعواهم في الإيمان بالله .. لأنهم لم يؤمنوا برسوله الأخير محمد ﷺ ، ولما هم عليه من انحراف التصور للحقيقة الإلهية [٢].

---

(١) تفسير الطبري، ٣/ ٣٠٢ .

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٩٥٢ ، بتصرف وينظر أيضًا ، ١/ ٥٣٧ ، ٢/ ٦٧٩ .

وكذا وقوعهم في الشرك بصوره المتعددة من : شرك في الوحدانية بادعائهم أن عزيرابن الله، وأن المسيح ابن الله ، ومن شرك في الحاكمية باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله [١] ، وكذا كفرهم باليوم الآخر ، ومحاربتهم لدين الله الحق وقتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله كثيرًا ،وغيرها من مظاهر الكفر والشرك والوثنية التي قررها القرآن الكريم عنهم [٢] .

٢- عداوتهم للإسلام وأهله وبيان أساليبهم في حربه :

تناول سيد في كتاباته وخاصة في الظلال الحديث عن أهل الكتاب وأعمالهم العدوانية المستمرة ضد الإسلام ، موضحًا أن هذا الموقف هو من جبلتهم النكدة الشريرة التي ينغل الحقد في صدورها على الإسلام وعلى نبي الإسلام ، نظرًا لأن هذه الأمة المسلمة تحمل الرسالة الموجهة إلى الجنس البشري وتحفظ العهد والميثاق الذي نقضه أهل الكتاب ، لذلك فالصراع مستمر ودائم وقد تجلت أحقاد اليهود والصليبين على الإسلام وأهله منذ مجيئه ولا تزال الحروب التي تشنها قوى الصليبية واليهودية مستمرة في صور متعددة [٣]:

- في صورة حروب صليبية .
- أو في صورة حملات تنصيرية أو استشراقية.
- أو في صورة غزو ثقافي وبلبلة فكرية .
- أو من خلال تجنيد العملاء من أبناء المسلمين.
- أو في صورة حرب اقتصادية .
- أو في تحالفات مع الوثنية حيثما وجدت ضد الإسلام .

- وفوق ذلك احتضان وكفالة الأوضاع التي تتولى سحق حركات الإحياء والبعث الإسلامية في كل مكان على وجه الأرض ، وإلباس القائمين بهذه الأوضاع

(١) ينظر في ذلك الظلال ، ٢/ ٦٧٦-٦٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ١/ ٨١٥ ، ٩٤٣ ، ٩٥٢ ، ٩٦٢ ، ٣/ ١٦٢١ إلى ١٦٤٥ ، ٥/ ٣١٤٢ ، و٦/ ٣٩٤٨ ، ومقومات التصور الإسلامي ،ص ١١٠ وما بعدها ، خصائص التصور الإسلامي ، ص ٢٨ .

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ١/ ١٠٨ ، ٤١٤ ، وينظر في ظلال القرآن رؤية استشراقية فرنسية : تأليف أوليفيه كاريه ، ترجمة / محمد رضا عجاج ، دار الزهراوي ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٤١٣هـ ، ص ١٧٧ وما بعدها .

أثواب البطولة الزائفة ودق الطبول من حولهم ليستطيعوا الإجهاز على الإسلام في زحمة الضجيج العالمي حول الأقزام الذين يلبسون أردية الأبطال !..

وما سجله التاريخ إلى اليوم من مواقف اليهودية والصليبية ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغدًا ، فلا ينساقوا وراء حركات التمييع الخادعة أو المخدوعة.. التي تخدر مشاعر المسلمين تجاه المعسكرات التي تضمر لهم الحقد وتبيت لهم الكيد .. وضرر هؤلاء المخدوعين لا يقل عن ضرر أعدى الأعداء[١] .

- أما سبب عداوتهم للإسلام وأهله فقد أخبر القرآن الكريم بأنه: الحقد والحسد وكراهية الخير والهداية لهذه الأمة، قال سبحانه ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[٢].

فمن هذا السبب انبعثت دسائسهم وتدابيرهم كلها في حرب الإسلام وأهله[٣].

٣- فضح صفاتهم وطبيعتهم النفسية :

جاءت آيات كثيرة في القران الكريم تتحدث عن صفات أهل الكتاب وتبين خصائصهم ونفسياتهم ، وقد وقف سيد في ظلال هذه الآيات، مقارنا بين ما ذكره الله تعالى عنهم في الماضي وبين ما هم عليه في الحاضر ، ومن أبرز صفاتهم الحسد ، والنفاق والخيانة ، والمكر والخديعة ،والمعصية والعدوان، والبخل والشح ،والجبن، وقسوة القلوب ،والذلة والمسكنة ، والإفساد في الأرض، ونقض العهود ، وغيرها[٤] .

٤- مناقشة انحرافاتهم العقدية ودعاواهم الباطلة :

استعرض سيد - رحمه الله - عقائد أهل الكتاب ومقولاتهم ودعاواهم التي حكاها الله عنهم ، وناقشها وبيّن ضلالها، ورد على مزاعمهم وافتراءاتهم في كثير من

---

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٦٢ و٩٦٥-٩٦٧ بتصرف ، وينظر أيضًا : ١/ ٦٣ ، ٨٤ ، ٩٦٥ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ٤٤٣، ٢/ ٦٨١ ، ٩٢٤ ، ٩٥٢ ، ٩٦٦ ، ٩٦٠ ، ١٠٣٢ ، ٣/ ١٥٩٣ ، ١٦٢٨ . ومعركتنا مع اليهود سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت، ط١ ،عام ١٤٢٠هـ، ص ٢٠-٣٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٠٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، ١/ ١٠٢ ، ٤١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ١/ ٦٤، ٩٠ .

المواضع ومن أهم القضايا التي ناقشها سيد- رحمه الله-:

أ- دعواهم أن عزير ابن الله ، وأن المسيح ابن الله [١] .

ب- ألوهية المسيح عليه السلام [٢] .

ج- الخطيئة والتوبة عند النصارى[٣] .

د- التثليث وعلاقته بالعقائد الوثنية [٤] .

هـ- الرهبانية [٥] .

و- زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة [٦] .

ز- شركهم في الحاكمية باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله [٧] . وبناءً على الحكم العقدي الواضح في كفر أهل الكتاب وفسقهم ووثنيتهم وضلالهم عن الدين الحق فقد جاءت أحكام الشرع الإسلامي بمعاملتهم في الجانب العملي معاملة تجمع بين التزام الحق ولزوم العدل ، بين تميز أهل الإسلام بما يحملونه من الحق وبين منع الظلم والاستطالة بغير حق على من يعيش في كنف المسلمين ويستظل بولايتهم. فالأحكام العملية المتعلقة بأهل الكتاب ، نوعان :

النوع الأول :أحكام مقصودة لحفظ الدين وتميز المسلمين ، وتتمثل في وجوب كون الدين كله لله بإسلامهم أو إعطائهم الجزية أو قتالهم ،وكذا تحريم موالاتهم ومحبتهم ومودتهم والتشبه بهم والحذر من كتبهم و مروياتهم وكتابتهم .

النوع الثاني: أحكام متعلقة بحفظ الحقوق وقيام العدل والإحسان ، وتتمثل في عدم

---

(١) المصدر السابق ، ١/ ١٠٥ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٩٦ ، ٢/ ٨١٧- ٨١٩ / ٨٦٣ وما بعدها ، ٩٤٥-، ٤/ ٢٣٠٤ وما بعدها ، ٥/ ٢٦٦٤، ٣١٩٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٦١ ، ٣/ ١٢٧٤ ،والسلام العالمي في الإسلام،سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٢ ، عام ١٩٩٢م، ص ٥٢

(٤) المصدر السابق ، ٢/ ٨١٥، ٣/ ١٦٣٨- ١٦٤٠ ، والمستقبل لهذا الدين - سيد قطب -دارا لشروق ، القاهرة ، ط ١٦ ، عام ١٤٢٥هـ ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٥) المصدر السابق ، ٦/ ٣٤٩٥ .

(٦) المصدر السابق ، ٢/ ٨٦٦/ ٨٦٧ .

(٧) المصدر السابق ، ٣/ ١٦٤١- ١٦٤٣ .

الإكراه على الدين والعدل في معاملتهم وحفظ ذمتهم والصدقة على فقرائهم وحل طعامهم ونسائهم والتعامل معهم بيعًا وشراءً وإجارة ونحوها[1] وخفاء الفارق بين هذين النوعين من الأحكام يؤدي إلى الوقوع في الإفراط أو التفريط

ومن خلال استقراء كلام سيد قطب- رحمه الله -في هذا الباب نجد أنه يميز بين هذين النوعين من الأحكام في كلامه عن أهل الكتاب فيقرر أن:" سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته والذين ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي بطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها ، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم، وأنهم مصرون على الحرب للإسلام .. إلى آخر هذه التقريرات الحاسمة .

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم .. فطريقه في تمكين دينه لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب .. ومهما أبدى لهم من السماحة فلن يرضوا عنه ... ومن السذاجة والغفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار والملحدين ، فهم مع الكفار الملحدين إذا كانت المعركة مع المسلمين [2] .

ويمكن بيان موقف سيد قطب من هذين النوعين من الأحكام المتعلقة بأهل الكتاب فيما يأتي:

أولا : الأحكام المتعلقة بحفظ الدين وتميز المسلمين ، والتي تتمثل في :

١- كون الدين كله لله : حيث يقرر- سيد - أن الإسلام جاء ليكون إعلانًا عامًا

(١) ينظر في ذلك :دعوة التقريب بين الأديان ، د/ أحمد القاضي ، دار بن الجوزي ، الدمام ، ط١ ، عام ١٤٢٢هـ ، ١/ ١٥٥وما بعدها

(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٠٩ - ٩١٠ بتصرف.

لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية لغير الله في كل صورها، ولا يتم ذلك إلا بقيام الجماعة المسلمة التي تبلغ هذا الدين وتجاهد في سبيل أن يكون الدين كله لله، إما بدخول الناس في الإسلام، وإما بإزاحة الحواجز المادية من الطواغيت والأوضاع لإفساح المجال أمام الناس لاختيار عقيدتهم بعيدًا عن الضغوط .. من خلال كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق حتى تستسلم، وتعلن استسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلًا.

والهدف من الجزية: أنهم يعلنون استسلامهم وعدم مقاومتهم للدعوة الإسلامية، والمساهمة في نفقات الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرماتهم التي يكفلها لهم الإسلام، وكذلك للمساهمة في بيت مال المسلمين الذي يضمن الكفالة والإعاشة لكل عاجز عن العمل بما في ذلك أهل الذمة، وبذلك يكون الدين كله لله [١].

٢- حرمة موالاتهم أو ائتمانهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين: حيث بين- سيد - أن الولاية التي نهى الله عنها هي ولاية التناصر والتحالف معهم، فضلًا عن إتباع شيء من دينهم فذلك محرم ابتداءً .. وفرق بين سماحة الإسلام معهم في بعض الأحكام العملية وبين اتخاذهم أولياء، فالولاء ارتباط وتناصر وتواد، وهذا لا يكون في قلب يؤمن بالله حقًا إلا للمؤمنين، فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى - وبعضهم أولياء بعض - ثم يبقى له إسلامه وإيمانه، وتبقى له عضويته في الصف المسلم الذي يتولى الله ورسوله والذين آمنوا .. فهذا مفرق الطريق [٢].

٣- حرمة محبتهم وموّدتهم في الدين: أما تحريم محبتهم ومودتهم فلأنه لا يجتمع في قلب واحد ودّان، ودٌ لله ورسوله، وودٌ لأعداء الله ورسوله! فإما إيمان أولا إيمان، أما هما معًا فلا يجتمعان، فالمفاصلة العقيدية الشعورية بين المسلم وغير المسلم يجب أن تتم من اللحظة الأولى، أما المفاصلة العملية فقد تطول فترة الدعوة قبل تحققها ... [٣].

---

(١) في ظلال القرآن، ٣/ ١٤٤٣، ١٦٣٣، ١٧٣٨ بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٨٧، ٤٥٢- ٢/ ٩٠٧، ٩٠٩- ٩١١ بتصرف، ومقومات التصور الإسلامي، ص٣٨٠.

(٣) المصدر السابق، ٦/ ٣٥١٤، ٤/ ١٩٤٧.

٤- النهي عن التشبه بهم : والنهي عن التشبه بهم قائم على أساس تميز المسلم عن غيره ، وهو الأمر الذي ينشئ الشعور بالتفرد ، ومن هنا كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة ، كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء ، ولم يكن هذا تعصبًا ولا تمسكا بمجرد شكليات ، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات ، نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة ، وهي التي تفرق قوماً عن قوم، وعقلية عن عقلية ، وتصورًا عن تصور وضميرًا عن ضمير ، وخلقًا عن خلق ، واتجاهًا في الحياة كلها عن اتجاه ، لذلك نهى النبي ﷺ عن التشبه بغير المسلمين في مظهر أو لباس ، وعن التشبه في حركة أو سلوك، وعن التشبه في قول أو أدب - لأن وراءً هذا كله الشعور الباطن الذي يميز تصور ومنهج وسمة الجماعة المسلمة عن غيرها [١] .

٥- عدم التلقي عنهم والاغترار بكتاباتهم : حذر سيد -رحمه الله - كثيرا من التلقي عن غير المسلمين عموما وأهل الكتاب خصوصا وكذا الاغترار بكتاباتهم والاعتماد عليها لافتقارها إلى الموضوعية والصواب ، خاصة في أمر العقيدة والشريعة والمنهج ، أما الانتفاع بالعلوم البحتة مع ربطها بالإيمان فذلك لا ضير فيه [٢] .

ثانيًا : الأحكام المتعلقة بحفظ الحقوق وقيام العدل والإحسان ، وتتمثل في :

١ـ عدم الإكراه في الدين :

يقول سيد : " قضية العقيدة - كما جاء بها هذا الدين - قضية اقتناع بعد البيان والإدراك وليست قضية إكراه وغصب وإجبار ، ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته ، يخاطب العقل المفكر ، والبداهة الناطقة ، ويخاطب الوجدان المنفعل ، كما يخاطب الفطرة المستكنة ، يخاطب الكيان البشري كله ، والإدراك البشري بكل جوانبه ، في غير قهر بالخارقة المادية التي قد تلجئ

(١) المصدر السابق ، ١/ ١٢٨ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٤٤٠ .

مشاهدها إلجاءً إلى الإذعان ، ولكن وعيه لا يتدبرها ، وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك ، فإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة ، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط والإكراه بلا بيان ولا إقناع..عكس المسيحية التي كانت قبله حيث فُرضت بالقوة في ظل الدولة الرومانية .. فلما جاء الإسلام أعلن هذا المبدأ العظيم :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[1]. حيث يتجلى فيه تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله .. وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني .. الذي تنكره المذاهب المعاصرة على الإنسان في عالم اليوم.. والتعبير هنا في صورة النفي المطلق ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ أي نفي جنس الإكراه ، وليس مجرد نهي عن مزاولته ..ولا تناقض بين مبدأ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ومبدأ (الجهاد) كما يزعم المغرضون من المستشرقين أو المهزومين من المسلمين ، فالجهاد في الإسلام شرع لأهداف سامية منها :

أ - دفع الأذى والفتنة عن المؤمنين وحماية أموالهم وأنفسهم وعقيدتهم .

ب- تقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - لإيصال الإسلام لكل الناس وبيانه لهم فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولكن قبل ذلك لا بد من إزالة الحواجز والعقبات التي تمنع الناس من سماع الإسلام وفهمه..من خلال جهاد الطواغيت والنظم الطاغية التي تحول بين الناس وبين معرفة الإسلام .

ج - إقامة النظام الإسلامي في الأرض وحمايته ، وتحرير البشر من العبودية للبشر في جميع صورها ، وبالتالي يكفل صيانة الحرمات حتى لمن لا يعتنقه ممن يعيش في ظله "[2].

ولا بد هنا من التفريق بين ما ذكره سيد من عدم إكراه غير المسلم على الدخول في الإسلام وبين حكم الإسلام فيمن دخل الإسلام ثم ارتد عنه ، فلا يصح الاستدلال

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٢٩٠-٢٩٦ بتصرف .

بالآية على جواز الارتداد عن الدين .

٢ـ الإحسان إليهم والعدل في معاملتهم وحفظ ذمتهم :

يقول سيد : " فالإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله أخوة متعارفين متحابين ، وليس هناك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فإذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ، وحتى في حالة الخصومة فإنه يستبقي أسباب الود في النفس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارًا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير أن ينضووا تحت لوائه الرفيع .. وإلى أن يتحقق ذلك رخص الله للمؤمنين في موادة من لم يقاتلوهم في الدين ، ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم ، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئًا.. لكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين.. وهذه القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين " [١]. " حيث يأمرهم بإقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض " [٢].

٣ـ حل طعامهم ونسائهم وزيارة مريضهم :

يقول سيد : " فمن سماحة الإسلام مع غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي " دار الإسلام " ، أو تربطهم به روابط الذمة والعهد من أهل الكتاب، أنه لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ، ثم يعتزلهم ، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجْفُوين معزولين -أو منبوذين - إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية ، والمودة والمجاملة والخلطة ، فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلًا لهم كذلك [٣] ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة ، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة، وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم - وهن

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٥٤٤ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ، ٢/ ٨٥٢ .

(٣) القول بحل نساء أهل الكتاب اليوم فيه نظر ، لاعتبارات جدَّت في عقائدهم وسلوكهم وقوانينهم ، ومع ذلك نجد سيد قطب يميل إلى الرأي القائل بتحريم نكاح الكتابية إذا كانت تعتقد بألوهية عيسى أو بنوته ، أو التثليث أو أن عزير ابن الله لكونها في هذه الحالة مشركة ، ويستدل بقول ابن عمر " لا أعلم أعظم شركًا من أن تقول ربها عيسى " وهو حديث أخرجه البخاري . ينظر في ظلال القرآن ، ١/ ٢٤٠-٢٤١ .

المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر – طيبات للمسلمين، وهي سماحة لم يشعر بها إلا اتباع الإسلام من بين سائر اتباع الديانات والنحل ، فالكاثوليكي المسيحي يتحرج من نكاح الأرثوذكسية أو البروتستانتية أو المارونية المسيحية ، ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة .. وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي ، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية في ظل المجتمع المسلم فيما يختص بالعشرة والسلوك ، أما الولاء والنصرة فلها حكم آخر "[1].

ولسيد –رحمه الله – نصوص أخرى في عدد من مؤلفاته [2] يتحدث فيها عن موقف الإسلام من أهل الكتاب فيما يتعلق بالعدل معهم والإحسان فيما يتعلق بالعشرة والسلوك ، ربما يفهم منها من يقرأها في معزل عن النصوص التي سبق بيانها في موقفه من أهل الكتاب أن سيد يميع قضية الولاء والبراء ، ويدعو إلى موادة الكفار ![3].

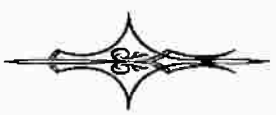

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ٨٤٨ بتصرف ، ومع ذلك نجد سيد يميل إلى الرأي القائل بتحريم نكاح الكتابية إذا كانت تعتقد بألوهية عيسى أو بنوته ، أو التثليث أو أن عُزير ابن الله لكونها في هذه الحالة مشركة ، ويستدل بقول ابن عمر " لا أعلم أعظم شركًا من أن تقول ربها عيسى " وهو حديث أخرجه البخاري . ينظر في ظلال القرآن ، ١/ ٢٤٠-٢٤١ .

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٤٤ - ٣٥٤٥ ، ونحو مجتمع إسلامي ، ص ١٠٠-١٠٦و١١٤ -١٣٥ ، والسلام العالمي ص ١٧٤ وما بعدها .

(٣)ينظر : أضواء على عقيدة سيد قطب وفكره ، د/ ربيع المدخلي ،ص ٢٢٤-٢٤١ .

المطلب الثاني

موقفه من الأديان الوثنية والمذاهب المادية المعاصرة

الفرع الأول : موقفه من الوثنية :

يقول سيد -رحمه الله-: " إن الأساطير والتصورات الوثنية قد يبدو لنا اليوم أنها انتهت وانقضت، ولم تعد ذات موضوع يعالجه التصور الإسلامي الصحيح، ولكن الحقيقة غير ذلك، فما يزال مئات الملايين من البشر في الهند واليابان والتبت وسيلان والفلبين، ومساحات شاسعة في أفريقية، وقبائل متفرقة في استراليا وأمريكا .. ما تزال هذه المئات من الملايين البشرية غارقة في أساطير الوثنية وتصوراتها عن " حقيقة الألوهية " وعن " حقيقة الكون " تبعاً لذلك، وما يزال أمام التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحقائق الأساسية مجال عمل مفتوح .

إن بعض العقائد الهندية تتصور.. أن هذا الكون يفنى ويتجدد في أدهار معلومة، وذلك بفعل " الكارما " أو " ما ينبغي أن يكون " وذلك مع اعتقادها بوجودٍ إلهي له حالات ثلاث لكل حالة منها اسم " فشنو " و " سيفا" و " كرشنا " .

كما أن بعضها يرى أن هذا الكون المادي " عدم " لا وجود له، ولكن الوجود الإلهي وهو الوجود الحقيقي حين " يحل " في هذا العدم، فإنه يتجلى في الصورة المادية، ومن ثم فكل ما نرى في الكون إنما هو من أثر " حلول " الوجود الإلهي في هذا العدم ! ولقد اختفت من السطح آلهة الإغريق الوثنية التي كانت تتوزع اختصاصاتها في النجوم والكواكب، والقوى الطبيعية، والظواهر الكونية، فإله للشمس، وربة للقمر، وربة للغدران والعيون، وإله للمرعى، وإله للحب، وآلهة للنسل ... الخ، ولكن هذه الآلهة ما تزال كامنة في عقل الأوربيين والأمريكان ورثة الوثنية الإغريقية الرومانية، وما تزال تلوّن تصوراتهم الأدبية في شعرهم وقصصهم، ثم تلوّن نظرتهم إلى الكون وشعورهم تجاهه فاصطلاح " الانتصار على الطبيعة " هو اصطلاحٌ وثنيٌ ناشئٌ من تلك التصورات القديمة، وهو أعمق في مشاعرهم من التصورات المسيحية الطارئة عليهم، وبخاصة بعد عصر النهضة التي اعتمدت على التراث الإغريقي الروماني أكثر مما اعتمدت على المسيحية .

ومما يؤسف له أن هذه التصورات الوثنية تتسرب إلينا - نحن المسلمين - مع الأدب الغربي ومع الفلسفة الغربية ، وتندس في عقولنا ، وتظهر في تعبيراتنا وآدابنا كما لو كانت أصيلة فينا، وإذا كان الأوربي معذورًا في هذا ،لأنه وريث تلك الوثنية فهو على الأقل " أصيل " في ذلك التراث الوثني .. أما نحن .. فماذا !!.

كذلك ما يزال للوثنيات الشرقية جذورها الكامنة وراء الرسالات السماوية، بل إن بعض الحركات كحركة الحزب القومي السوري تقوم على أساسها ، وتحاول استحياءها واستحياء تصوراتها ، فالوثنية الفينيقية هي قاعدة تصورات هذا الحزب، وبها يتغنى في أدبه وفي خطته السياسية كذلك ، إنه يتغنى " بعشتروت " و"آدونيس" وبقية الآلهة الوثنية القديمة .

وفي وقتٍ من الأوقات حاول بعضهم في مصر استحياء الوثنية الفرعونية ، وكان سلامة موسى[1] على رأس هذه المحاولة لكنها أخفقت ، لأنها حركة ضد الخط التاريخي! ولكنها تتخفى الآن لتظهر في صورة أخرى في حركة " الفولكلور" واستحياء التصورات الشعبية القديمة المستندة إلى التصورات الفرعونية الوثنية ، وأصلها حركة خبيثة للتغطية على الإسلام ونوره ! فالوثنية لم تنتهِ ولم تنقضِ ، ولم تصبح غير ذات موضوع في بقاع كثيرة " [2].

كما يرى - أيضًا - أن أسباب بقاء الوثنية هو عدم وصول الحق إلى البشرية، "لأنه لا مجال أمام القلب البشري إلا أن يستقيم على فطرته فيعرف إلهه الحق ويتخذه ربًا ،ويستسلم لشرعه ويرفض ربوبية ما عداه ،... وإما أن يتيه في دروب الجاهلية والوثنية ومنعرجاتها تطلب إليه طواغيت الجاهلية والوثنية شتى الطقوس لعبادتها، وشتى التضحيات لإرضائها، ثم تعدد الطقوس في العبادات والتضحيات ، حتى ينسى الوثني أصولها ، ويؤديها وهو لا يعرف حكمتها والإسلام وحده هو دين التوحيد الذي جاء ليحرر الناس من العبودية بعضهم لبعض ومن عبوديتهم لشتى الآلهة والأرباب ، ويحرر الضمير البشري من أوهام الوثنية في كل صورها وأشكالها، سواءً في أعماق الضمير أم في شعائر العبادات ، أم في أوضاع الحياة وشرائع الحكم

(١) سلامة موسى ، كاتب مصري نصراني ،ولد سُنَّة ١٨٨٧م، واشتهر بنزعته التغريبية وميوله النصرانية والمادية ، درس في لندن ، له عدد من المؤلفات .مات سُنَّة ١٩٥٨م ، انظر: الأعلام للزركلي ،٣/ ١٠٧ .

(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

والنظام [١].

ويقول أيضًا : " إننا اليوم نشهد - بعد أربعة عشر قرنًا من نزول القرآن - أنه حينما انفك رباط القلب البشري بالإله الواحد ، تاه في منحنيات الوثنية التي لا عداد لها .. وذكر من الأمثلة للوثنية المنتشرة في العالم الإسلامي اليوم ما يحصل في صعيد مصر وريفها من مظاهر الوثنية والقرابين لغير الله [٢].

كما نبه على صنوف وألوان من الوثنية والشرك ، عند من يزعمون أنهم يوحدون الله ويسلمون له ومن ذلك : أن الناس يقيمون لهم اليوم آلهة يسمونها " القوم " ويسمونها " الوطن " ويسمونها " الشعب " إلى آخر ما يسمون ، وهي لا تعدو أن تكون أصنامًا غير مجسدة كالأصنام الساذجة التي كان يقيمها الوثنيون ، إننا نخدع أنفسنا حين نقف بالوثنية عند الشكل الساذج للأصنام والآلهة القديمة ، .. إن شكل الأصنام والوثنية فقط هو الذي تغير ، والشعائر اتخذت لها عنوانات جديدة .. أما طبيعة الشرك وحقيقته فهي قائمة وراء الأشكال والشعائر المتغيرة ، وما يجري اليوم في الأرض كلها أمثلة تكشف عن حقيقة الوثنية السائدة والأصنام المعبودة المقامة اليوم بديلًا عن تلك الوثنية الصريحة والأصنام المتطورة ، ويجب ألا تخدعنا الأشكال المتغيرة للوثنية والشرك عن حقيقتها الثابتة [٣].

" والناس ما كانوا ليخرجوا من الجاهلية الوثنية بكلياتهم حتى تكون العقيدة وحدها هي قاعدة تجمعهم من خلال الدينونة لله وحده والتلقي عنه وحده " [٤].

الفرع الثاني: موقفه من المشركين :

تركز كلام سيد قطب - رحمه الله - حول المشركين من خلال بيان الشرك والتحذير منه وبيان صفات أهله والموقف منهم .

أما بيان الشرك وحقيقته وأنواعه وآثاره فسيأتي الكلام عنها في الفصل الرابع من الباب الثالث عند حديثنا عن نواقض التوحيد - إن شاء الله - ،ونقتصر هنا

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٨٨- ٩٨٩ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ، ٢/ ٩٩٠ ، ٣/ ١٤١٢ بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤١٢- ١٤١٣ ، ٤/ ١٨٩١ .
(٤) المصدر السابق ، ٤/ ١٨٩١.

على بيان موقف سيد من المشركين ، وذلك كما يأتي :

أ ـ من هم المشركون ؟ :

يعرف – سيد قطب – المشركين بأنهم : " الذين يشركون بالله أحدًا في خصائص الألوهية سواء في الاعتقاد بألوهية أحدٍ مع الله ، أو بتقديم الشعائر التعبدية لأحد مع الله ، أو بقبول الحاكمية والشريعة مِن أحدٍ مع الله ، ومن باب أولى من يدعونَ لأنفسهم واحدة من هذه [١].

وهذا يعني أن غير المسلمين سواءً كانوا أهل كتاب أو وثنيين أو غيرهم يطلق عليهم مصطلح " المشركون " ويدخل في المصطلح أيضًا بعض من ينتسبون إلى الإسلام ويقعون في الشرك على اختلاف درجات الشرك بين أكبر وأصغر " .

ب ـ صفات المشركين وخصائصهم :

أشار سيد – رحمه الله – إلى بعض صفات المشركين التي ذكرها القرآن الكريم، ومنها :

١ – غفلتهم وعدم استخدامهم للعقل والنظر [٢].

٢ – كبرياؤهم وعنادهم وإعراضهم عن الحق [٣].

٣ – كفرهم بالله وصدهم عن سبيله [٤].

٤ – حقدهم على الإسلام وأهله ونجاسة نفوسهم [٥].

٥ – انحراف فطرهم عن الحق ونفورهم منه [٦].

٦ – افتراؤهم وكذبهم على الله [٧].

٧ – تفننهم في طلب الآيات مع التكذيب بها [٨].

---

(١) المصدر السابق ، ٢/ ١١٢٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ١٥٣ ، ٥/ ٢٩٨٤ .
(٣) المصدر السابق ، ٢/ ١٠٣٦ ، ١٠٣٩ ، ١٠٧٩ ، ٣/ ١٥٠٥ ، ٤/ ١٨٥٥ ، ٥/ ٢٥٥٨ ، ٢٦١٨ .
(٤) المصدر السابق ، ٣/ ١٥٠٦ .
(٥) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٦٠٥ ، ١٦١٨ . .
(٦) المصدر السابق ، ٤/ ٢١٨٣ ، ٢٢٣٢ ، ٥/ ٣٠٣٧ ، ٣٠٥٥ .
(٧) المصدر السابق ، ٤/ ٢١٧٩ ، ٢١٩٤ ، ٢٤٧٨ .
(٨) المصدر السابق ، ٢/ ١٠٧٩ ، ٤/ ٢٣٥٧ ، ٥/ ٢٧٤٦ .

جـ- عداوتهم للإسلام وأهله :

بيّن سيد - رحمه الله -أن هناك وحدة هدف - تجاه الإسلام والمسلمين - تجمع الذين كفروا من أهل الكتاب والذين كفروا من المشركين . واستعرض الآيات القرآنية المختلفة التي تقرر ذلك بوضوح وجزم ، و تبين مدى العداء الذي يحملونه، وأن هذا العداء طبيعة دائمة وليس حالة مؤقتة ، ويتبين ذلك بوضوح من خلال استعراض الواقع التاريخي لمواقف المشركين جميعًا من الإسلام وأهله [١].

د- حدود التعامل مع المشركين :

يرى - سيد- أن أهل الإسلام لا لقاء بينهم وبين أمم الشرك كلها ، فهما أمتان مختلفتان وبالتالي فإن المفاصلة هي التي تحكم العلاقة بينهما ، ولا بد أن تقوم العلاقة معهم على الأتي :

١ - بغضهم وعداوتهم وعدم موالاتهم ، باعتبار أن محبتهم وولايتهم من نواقض الإسلام [٢].

٢- مفاصلتهم وعدم حضور مجالسهم إلا بقصد الدعوة والتذكير فقط [٣].

٣- تحريم مصاهرتهم وبيان العلة في ذلك [٤].

وبالإضافة لما سبق فقد عمل سيد قطب - رحمه الله - على إبراز منهج القرآن الكريم في الرد على مقولات المشركين وشبهاتهم الفاسدة ، وبيّن بطلان عقائد الشرك كافة عند استعراضه للآيات المتعلقة بذلك [٥].

الفرع الثالث : موقفه من الإلحاد :

شهد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي ، انتشارًا كبيرًا لموجة الإلحاد وظهور كثير من النظريات والمذاهب المادية والإلحادية في العالم .

---

(١) المصدر السابق ، ٣/ ١٦٢٥ وما بعدها ، ومقومات التصور الإسلامي ، ص ١١٣ -١١٤.

(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٨٥ ، ٢/ ٩٠٩ ، ٩٢٢ ، ٦/ ٣٤١١ ، ومقومات التصور الإسلامي ، ص ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/ ٩١٥ - ٩١٧ ، ١٠٤٨ ، ١١٢٧ ، ١١٢٩ .

(٤) المصدر السابق ، ١/ ٢٣٩ ، وما بعدها .

(٥) المصدر السابق ، ٢/ ١١٥٣ ، ١١٦٣ ، ٤/ ٢١٦٦ ، ٥/ ٢١٧١ ، ٥/ ٢٥٥٥ ، ٢٧٥٠ ، ٣٠٣٧ ، ٥٥٥ .

وقد عاصر سيد -رحمه الله- تلك المرحلة وتعرف من خلال قراءاته واطلاعه، وكذا من خلال حياته في الغرب على كثير من تلك المذاهب والنظريات، وبعد توجهه نحو الإسلام عمل على فضح حقيقة المذاهب الإلحادية ومناقشة أصحابها وتعرية اللافتات التي يرفعونها في المجتمع المسلم خصوصًا

ويمكن استعراض موقفه من الإلحاد ومذاهبه بإيجاز فيما يأتي :

١- تعريف الإلحاد :

الإلحاد هو: التظاهر بإنكار وجود الله ونبذ الاعتقاد والتدين إطلاقًا ،وهو بهذا المفهوم لوثةٌ حديثةٌ عارضةٌ شاذةٌ ، ليس لها في ضمير البشرية جذور وليس لها في الفطرة البشرية روافد ، وليس لها في الكينونة البشرية ولا في الحياة البشرية عوامل بقاءٍ ولا امتداد [١].

ذلك أن العرب في الجاهلية لم يكونوا ينكرون وجود الله وربوبيته ، وكذلك لم تكن الجاهليات الأخرى تنكر هذه الحقائق - باستثناء قلة من الفلاسفة الماديين من الإغريق - [٢].

فمسألة "وجود" إله لم تكن قط قضية جدية من قضايا الاعتقاد في تاريخ البشرية، إنما كانت القضية الجدية دائمًا هي تصور حقيقة الألوهية وبخاصة ما يتعلق منها "بصفة التوحيد" فالمعركة كانت بين الاعتقاد الحق والاعتقادات الباطلة ، ولم تكن بين " الإيمان"على إطلاقه ، " والإلحاد " على إطلاقه [٣].

٢- أسباب وجود الإلحاد وانتشاره :

يرجع سيد- رحمه الله-سبب وجود الإلحاد إلى :

أ- انحراف الفطرة وفسادها ، بسبب ما يطرأ عليها من عوامل شتى تغطي على حقيقة اتجاهها إلى ربها ومعرفتها بوحدانيته .

ب- التاريخ الطويل من العذاب البشع ، ومن الكبت والقمع ومن الصراع الوحشي

(١) مقومات التصور الإسلامي ، ص ١٠٠ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١٦٣ .
(٣) مقومات التصور الإسلامي ، ص ١٠٠، ١٠٣ .

مع الكنيسة.

ج- إنكار الكنيسة للدوافع الفطرية للناس، مع استغراقها هي في اللذائذ المحرمة.

د- جهود اليهود في استغلال الواقع التاريخي المنحرف للنصارى، ودفعهم بعيدًا عن دينهم ليسلس لهم قيادهم، واستخدامهم كالحمير على حد تعبير "التلمود" و "بروتوكولات حكماء صهيون" وما كان لليهود أن يبلغوا ذلك إلا باستغلال التاريخ الأوروبي النكد لدفع الناس إلى الإلحاد هربًا من الكنيسة.

هـ- الصدام بين الكنيسة بعقائدهم المحرفة، وبين النهضة العلمية في أوربا، واتجاه فلسفات عصر التنوير والمذاهب الوضعية المادية إلى الإلحاد.

و- استعمال القوة الرسمية في فرض الإلحاد ونشره في الشعوب بالحديد والنار، كما حصل إبان الثورة البلشفية في روسيا، وكذا ما حصل ممن سار في فلكها من الأنظمة التي حكمت كثيرا من شعوب العالم [١].

٣- مناقشة - سيد - لمقالات الملاحدة:

تعرض سيد - رحمه الله - لكثير من النظريات والمبادئ الإلحادية، وناقش أصحابها فيها مبينًا ضلالهم فيها من خلال استعراض المنهج القرآني، وكذا الاستشهاد بالأبحاث العلمية للعلماء الغربيين الذين وصلوا في نهاية دروبهم إلى الإقرار بالله [٢]. ومن المقولات الإلحادية التي ناقشها - سيد - ورد عليها:

أ- نشأة الحياة وحقيقتها [٣].

ب- إنكار الغيبيات [٤].

ج- إنكار الخالق سبحانه [٥].

---

(١) في ظلال القرآن، ٢/ ١٠٣٢، ١٠٨٧، ١١٦٤، ٣/ ١٣٥٧ ن ١٤٠٦، ومقومات التصور الإسلامي ص ١٠٠ وما بعدها، بتصرف، وفي التاريخ فكرة ومنهاج - سيد قطب - ص ٦٥ وما بعدها.

(٢) ظلال القرآن، ٢/ ١٠٣٢ وما بعدها، ومقومات التصور الإسلامي، ص ١٠١.

(٣) ينظر في ذلك: في ظلال القرآن، ٢/ ١٠٣٤- ١٠٣٥، ٣/ ١١٥٣، ١٢٧٠- ١٢٧٢.

(٤) ينظر في ذلك: المصدر السابق، ١/ ٤٠، ، ٢/ ١١٥ وما بعدها

(٥) ينظر في ذلك: في ظلال القرآن، ٢/ ١١٦١، ١١٦٧، ٣/ ١٤٠٦، ٤/ ٢١٣٠.

د- التفسير المادي للتاريخ [١].

هـ- النظرة المادية للإنسان [٢].

٤- مصير الإلحاد وواجبنا نحوه :

يرى سيد - رحمه الله - بما أن الإلحاد لوثة عارضة في تاريخ البشرية ليس لها جذور في الوجود والفطرة ،وإنما بدأت كمناورة في وجه الكنيسة ، ثم استغلها اليهود لرغبتهم في تدمير قاعدة الحياة البشرية ، فإن مصيرها حتماً إلى الفناء والاندثار من هذا الوجود ، وينبغي ألا تأخذنا ضجة الإلحاد والملحدين ، فنظن أنها موجة كاسحة ، أو نظن أنهم كثيرون ! فحتى البلاد التي تفرض الإلحاد بالحديد والنار والسجون والجواسيس ، أحنت رأسها في ساعة العسرة للعقيدة والتجأ الشعب الروسي في وجه الهجوم الهتلري إلى الدين والكنيسة ، ذلك لأن الدين حاجة فطرية في النفس البشرية كحاجة الطعام والشراب لحفظ الذات، وحاجة النسل لحفظ النوع سواء.. والكائن الذي لا ترتبط أجهزته الفطرية بالكون وبارئه هو مسخ لا تكتب له الحياة طويلاً ولا الامتداد [٣] .

أما واجب المسلمين نحو الإلحاد : " فهو الوقوف في وجه المد الإلحادي بالمنهج القرآني الفريد الذي يملك مقومات الخلاص للبشرية من بربرية الحضارة المادية ومصيدة الإلحاد والشيوعية ، وعلى المسلم ألا ينخدع بكثرة وقوة أصحاب الإلحاد ، وضعف المسلمين ، فيستعظم الأمر ، ويستكثر مواجهة هذه البشرية الضالة بكلمة الحق الفاصلة .. فالجاهلية وإن عمَّت الأرض جميعًا فواجب الداعية مواجهتها [٤].

"وينبغي أن يواجه الإلحاد بالإسلام الصافي النقي، وألا ينخدع المسلم بالشعارات التي تنادي بالتعاون مع أهل الأديان المحرفة من أهل الكتاب للوقوف في وجه المد الإلحادي، ذلك لأن القرآن يقرر أن أهل الكتاب أعداء للدين الحق ، وأنهم في حرب دائمة معه ، وأنهم يقفون وراء النظريات المادية والإلحادية ، فلا

(١) ينظر: المصدر السابق ، ٢/ ١٠٣٨ .

(٢) ينظر: المصدر السابق ، ١/ ٦٠ ، ٣/ ١٨٠٠ ، ٤/ ٢١٤٢ ، ٦/ ٣٦٨٤ ،وما بعدها ، ومقومات التصور الإسلامي، ص ٣٧ .

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ، ١/ ١٥١ ، ٢/ ١٠٣٢ ، ٥/ ٣١٣١ ، ومقومات التصور الإسلامي،ص ١٠٢ بتصرف.

(٤) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٤١ بتصرف .

يعنيهم حرب المادية الإلحادية بقدر ما تعنيهم حرب الإسلام ، ذلك لأن المادية الإلحادية من وجهة نظرهم عرضٌ طارئٌ وعدوٌ موقوت ، بينما الإسلام أصلٌ ثابتٌ وعدوٌ مقيم ، وبالتالي فالدعوة إلى تناصر الأديان وتعاونها في وجه الإلحاد إنما هي دعوة مموهة لتمييع اليقظة الإسلامية ، والانتفاع بجهد المستغفلين المخدوعين ، وليكون المسلمون وقودًا للمعركة مع الملحدين [١].

الفرع الرابع: موقفه من النظريات الإلحادية والمادية :

أولًا : موقفه من الشيوعية " الاشتراكية " :

يعد سيد قطب – رحمه الله – في طليعة الكُتَّاب الإسلاميين الذين حاربوا الشيوعية والاشتراكية ، والمطلع على كتبه يجد أنه عمل على بيان حقيقة الشيوعية الإلحادية ومجافاتها للفطرة ، وعدائها للدين ، وتحالفها ضد الإسلام والمسلمين ، حيث يقرر في كتاباته :

١ – " أن الشيوعية مؤسسة يهودية كالماسونية ، وأنها إحدى ركائز الخطة اليهودية في تدمير العالم – غير اليهودي – عن طريق سلب الدين منه ، وإبعاده عنه كونه المقوم الأساسي للحياة" [٢].

٢ – " أن الشيوعية من الوجهة النظرية تقوم على جهالة عميقة بالنفس البشرية وطبيعتها وتاريخها، فضلًا على الجهالة العميقة بالحقيقة الكونية وتفسير الكون والحياة ، فهي:

-تصور جميع الدوافع الإنسانية قائمة على جوعة المعدة والصراع على لقمة الخبز.

– وتصور جميع الحركات التاريخية منبثقة من تغير أدوات الإنتاج .

– وتلغي أهم مقومات الإنسان التي تفرق بين تاريخه وتاريخ البهيمة ! .

– وتلغي أهم وظائف الإنسان وهي كونه العامل الإيجابي الأول في هذه الأرض وفي البشرية

---

(١) المصدر السابق ، ٢/ ٩٢٤ – ٩٢٥، ٩٤٠ .

(٢) العدالة الاجتماعية – سيد قطب – ص ١١ .

- وتفترض أن الناس سيتحولون ملائكة خيرين ، ينتج كل منهم أقصى ما في طوقه ، ولا يأخذ إلا قدر ما يكفيه ، وكل هذا بدون رقابة وبدون حكومة ، وبدون عقيدة سماوية تطمعه في جنة أو تخيفه من نار، وبدون أي سبب معقول .. اللهم إلا ذلك الانقلاب الخرافي العجيب، الذي يتم في طبائع البشر، بمجرد تحطيم عناصر البرجوازية ، وتسليم الأمر للبروليتاريا .. وحين يكون هذا الجهل العميق وهذه الخرافة الطاغية هما أساس التصور الماركسي ، فإننا لا ننتظر أبدًا أن يقوم على أساسه واقع عملي في الحياة التي يزاولها البشر، إلا أن يكون فيه من الاعتساف قدر ما في هذا التصور من رغبة جامحة في مجانبة حقائق الفطرة التي تصطدم اصطدامًا عنيفًا بذلك التصور ، ومن ثم اضطرت الماركسية -عند التطبيق العملي - أن تتخلى عن أهم مقدساتها الماركسية ! وعللت هذا التخلي الذي يكاد يكون كاملًا بأن الماركسية مذهب متطور، على حين أنه ليس هناك مذهب يحتشد بالحتميات احتشاد النظرية الماركسية " [1].

٣- " أن الشيوعية مذهب يعادي الدين والفطرة، ويضطهد المسلمين، ويحارب الإسلام بوسائل شتى ومن وسائل الشيوعيين في حربهم للإسلام أنهم في البداية كتموا خططهم وحقيقتهم من الدين،وحاولوا الظهور بمظهر محبب للشعوب إلى حين تمكنهم من القوة، وعند ذلك عمدوا إلى استئصال شأفة الدين من خلال:

أ- القضاء على القضاة والمفتين والمدرسين والوعاظ والخطباء والأئمة والمؤذنين .

ب- احتلال المدارس والجوامع والمساجد ، وتحويلها إلى مسارح واصطبلات خيول أو مخازن أو أندية وسينما .

ج- إلغاء المحاكم الشرعية وديار الإفتاء .

د- جمع نسخ القرآن وإحراقها ، وكذا الكتب الدينية .

هـ- الاعتقال والتعذيب والنفي لمن بقي على دينه بوسائل وحشية وطرق دنيئة [2].

---

(١) المستقبل لهذا الدين - سيد قطب - دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦ ، عام ١٤٢٥هـ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) دراسات إسلامية - سيد قطب -، ص ٢٠١ -٢٠٦ بتصرف ، وفي التاريخ فكرة ومنهاج - سيد قطب - ،ص٦٣- ٦٦ .

سبب انتشار الشيوعية في أوروبا وعلاقتها بالرأسمالية :

يرجع سيد قطب سبب انتشار الشيوعية في أوروبا إلى " عقم الحضارة الأوربية والأمريكية في أن تعطي الناس شيئًا جديدًا في حقل الحرية الحقيقية والمساواة ، والأخوة ، وهي الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية ثم ما لبثت أن سقطت ، وتحول الغرب إلى الحقل المادي الصناعي وهنا برزت الفكرة الشيوعية أو التفسير المادي للتاريخ ، لأنها تمثل في عالم المبادئ مساحة أوسع من المساحة التي انتهت إليها مبادئ الثورة الفرنسية في العالم الغربي ، وتشغل الجماعات الإنسانية بهدف أكبر من الهدف الفردي ، التي تمثله الوجودية في فرنسا والبرجماتية في أمريكا ومن هنا كان الاندفاع الأوربي إلى الشيوعية بسبب الخواء المطلق في الحضارة الغربية وانعدام الغذاء الفكري ، ولم يكن أمامهم إلا فكرة الشيوعية لإشباعه .

أضف إلى ذلك أن الشيوعية هي الامتداد الطبيعي للفكرة المادية عن الحياة، وهي الفكرة التي اعتنقها العالم الغربي منذ قيام حضارته على أساس الحضارة الرومانية المادية ..

والخلاف بين فكرة الشيوعية والأفكار السائدة في الغرب الآن ليس اختلافًا في طبيعة التفكير إنما هو اختلاف في مدى التفكير، وطريقة التنظيم ، فالفكرة المادية عن الحياة واحدة ، والفرق هو بين حرية الاستثمار المطلق في الغرب، وبين ملكية الدولة لكل شيء في الشرق" [١].

علاقة الشيوعية بالإسلام :

يقرر سيد –رحمه الله –: " أن الإسلام هو الإسلام ، والاشتراكية هي الاشتراكية .. ذلك منهج الله وهذه وتلك من مناهج البشر ومن تجارب البشر .. وبالتالي فالخلط بينهما ووضع هذه الأقنعة على الإسلام ظنًا أن في ذلك خدمة له ، إنما هو في الحقيقة تمييع للإسلام وإضلال للناس " [٢].

" إن الاشتراكية قد تلتقي مع الإسلام في بعض النقاط في الجانب الاقتصادي،

---

(١) نحو مجتمع إسلامي – سيد قطب – ص : ٢٢– ٢٤ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٨٣ بتصرف .

مثل محاولة ضمانُ حدٍ أدنى لائق للأفراد من حيث العمل والمسكن والصحة ، والتقريب بين مختلف طوائف المجتمع ، ونحوها، ولعل هذا الالتقاء هو الذي أوجد شبهة عند الدعاة الإسلاميين الذين يتحدثون عن " الإسلام الاشتراكي" و"اشتراكية الإسلام " و" الاشتراكية الإسلامية" وما إليها ولكن الواقع :

أ - أن أسبقية النظام الإسلامي تمنع من إعطائه وصفًا لاحقًا ، هذا من ناحية الشكل .

ب - أما من ناحية الموضوع :

١- فالإسلام نظام متكامل تجيء فيه هذه الاتجاهات مرتكنة إلى أصول ثابتة ، ومعتمدة على فكرة كليةٍ متناسقة الأجزاء متصلة بالعقيدة في الله . بينما الاشتراكية فكرة ماديةٍ عن الحياة لم تتناول غير الجانب الاقتصادي في حياة المجتمع .

٢- أن النظام الإسلامي كليٌ ودائمٌ ، بينما الاشتراكية جزئيةٌ ووقتيةٌ ، وبالتالي لا يجوز ربطه- أي الإسلام - بنظام ولدته ضرورة طارئة ومصيره إلى التحور أو الزوال .

٣- أن الإسلام هوالأصل الذي ينبغي أن تقرن الاشتراكية إليه فيقال: أن فيها ما يشبه الإسلام في كيت وكيت، ولا يجوز أن يقرن الإسلام إليها، وهو سابق عليها بـ(١٣)قرنا من الوجهة التاريخية

٤- هناك فارق موضوعي أصيل وهو أن الاشتراكية بسبب أنها مذهب مادي اقتصادي بحت مجرد من العناصر الأدبية التي تمازج النظام الاجتماعي في الإسلام ، يمكن أن يقوم في ظلها استعمار، دونما حرج ولا تعارض مع صلب النظام الاشتراكي ، الأمر الذي لا يمكن أن يتم في ظل النظام الاجتماعي الإسلامي بسبب قيامه على العقيدة .

٥- أن النظام الاجتماعي في الإسلام نظام إنساني عالمي ، أما النظام الاشتراكي فنظام قومي محلي ، وهذا الفارق الأساسي في طبيعة النظامين تترتب عليه فروق كثيرة ، تجعل المشابهات بينهما مجرد اتفاقات ظاهرية وجزئية .

٦- أن النظام الشيوعي تصطدم فكرته بفكرة الإسلام من أساسها - وأن التقت معه في بعض المظاهر- فالمادية الجدلية التي تنفي كل مؤثر في الحياة تصطدم منذ الخطوة الأولى بالعقيدة في الله التي تقول أن هناك إرادة عليا في الكون تصرفه وفق ناموس ثابت ، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]. والمادية التاريخية تصغر من قيمه الدور الإنساني في الحياة أو تنفيه ، وتجعل الدور الأساسي لأداة الإنتاج ، بينما الإسلام يَعُد الإنسان خليفة الله في الأرض ، ويجعل له الدور الأساسي في كل ما ينشأ على وجهها من تغييرات وبالتالي فالنظرة التكريمة للإنسان تختلف اختلافاً جذريًا وتترك طابعها في حياة الإنسان "[2] .

" وهذا يعني أن النظرة الإسلامية إلى الإنسان تقدم على أساس تفرده بخصائصه الإنسانية ، إلى جانب ما يشارك فيه الحيوان من مطالب التكوين العضوي - المتمثلة بالطعام والشراب والمسكن والجنس- فالعقيدة وحرية التفكير والإرادة والاختيار، هي مطالب أساسية للإنسان كالطعام والشراب والمسكن والجنس .. بل هي أعلى منها في الاعتبار،لأنها مطالب زائدة في الإنسان على الحيوان، وإهدارها يعني إهدار آدميته، فالنظام الإسلامي لا يهدرها في سبيل الإنتاج كما تفعل الشيوعية [3].

"إن الإسلام يقر مبدأ الملكية الفردية ، ويخالف النظرة الشيوعية في هذا الاتجاه" [4].

" وأخيرًا فإننا نخرج بالحقيقة التي لا اعتساف فيها وهي : أن النظام الإسلامي ليس هو الرق، وليس هو الإقطاع ، وليس هو الرأسمالية ، وليس هو الاشتراكية ، وليس هو الشيوعية، إن النظام الإسلامي هو فقط النظام الإسلامي "[5].

مصير الشيوعية في نظر سيد قطب :

بناء على الحقائق التي أوردها - سيد - عن طبيعة النظام الاشتراكي ، ومجافاته

---

(١) سورة الفتح ، آية ٢٣ .

(٢)نحو مجتمع إسلامي ص٨٦-٩٠ بتصرف يسير .

(٣) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢١٤٤ بتصرف يسير .

(٤) معركة الإسلام والرأسمالية - سيد قطب - ص ٤٠ .

(٥) نحو مجتمع إسلامي - سيد قطب - ص ٨٦ -٩١ بتصرف يسير

للطبيعة والفطرة ومعاداته للدين، فإن مصيرها إلى الزوال .

وقد تنبأ سيد - رحمه الله - أن أقصى مدى يتصوره للمد الشيوعي لن يتجاوز الجيل الذي عاشه وبداية الجيل الذي بعده، أي مع نهاية القرن العشرين الميلادي حيث يقول:

" فأقصى مدى أتصوره للمد الشيوعي لن يتجاوز جيلنا هذا الذي نحن فيه، وأوائل الجيل القادم إذا سارت الأمور سيرتها الحالية ، ولن يكتمل هذا القرن العشرين حتى تكون الشيوعية قد سيطرت على الحضارة الغربية .. وعندئذ ينتهي صراع الشيوعية والرأسمالية ، اللتان هما خطوتان في فكرة واحدة هي الفكرة المادية، لا فكرتان مختلفتان كما تحاول كلتاهما أن تزعم في معرض الدعاية، وعندئذٍ.. يبدأ الصراع الحقيقي بين الفكرتين الرئيسيتين في العالم : الفكرة الإنسانية - ويمثلها الإسلام - ، والفكرة المادية وتمثلها الشيوعية في آخر مراحلها ، كما مثلها الدولة الرومانية وأوربا وأمريكا بكافة النظم التي سادت فيها- وفي نهايتها هذا النظام الشيوعي .. ونحن لا نشك في النتيجة الأخيرة لهذا الصراع ، ولا نرتاب لحظة في أن العاقبة للإسلام ، بحكم أنه فكرةٌ تسمح للحياة بالنمو الدائم في ظلها ، وبحكم أنه نظام يسمح لجميع قوى الإنسانية أن تعمل ، ويمنح الزاد المناسب لكل جوعة من جوعاتها : فكرية أو روحية أو مادية ، وبحكم أنه نظام عالمي يمكن للبشرية كلها أن تستظل بلوائه " [١].

" فالشيوعية في ذاتها فكرة صغيرة ، لا تستحق الاحترام عند من يفكرون تفكيرًا إنسانيًا أعلى من الطعام والشراب ، وعند من يعرفون أفكارًا أخرى عرفتها الإنسانية قبل الشيوعية ، وهي أعدل وأرقى " [٢].

(١) نحو مجتمع إسلامي ، ص ٣٩-٤٠ .
(٢) معركة الإسلام والرأسمالية - سيد قطب - ، ص ٢١ .

ثانيًا : موقفه من الداروينية :

قبل الحديث عن موقف سيد قطب من نظرية " دارون" [١] ينبغي أن نعرف أن سيد – رحمه الله – في تعامله مع النظريات الحديثة عمومًا، يرى عدم الخلط بين الحقائق الثابتة التي يقررها القرآن وبين المحاولات التي تخطئ وتصيب، وتثبت اليوم وتنفى غدًا ، كلما تقدمت وسائل البحث وطرقه [٢].

فهو يرى: " أن كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة – أو حتى بحقائق علمية ليست مطلق كما أسلفنا – يحتوي على خطأ منهجي أساسي ، كما أنها تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم:

الأولى: الهزيمة النفسية الداخلية التي تخيل للبعض أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم ....

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ...

والثالثة : التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن لتوافق النظريات المتغيرة " [٣] .

الداروينية : " نظرية غربية ظهرت في القرن (١٩م) على يد " دارون" وهو عالم أحياء إنجليزي ، وتقوم هذه النظرية على فرضية أن الحياة بدأت خلية واحدة ، وأن هذه الخلية نشأت في الماء ، وأنها تطورت حتى انتهت إلى خلق الإنسان ، فالإنسان ليس إلا طورًا من أطوار الترقي الحيوانية " [٤].

وسبب انتشارها هو صبغها بصيغة " العلم" وظهورها في وقت الانسلاخ من كل المقررات الكنسية في أوربا،وكذلك تشجيع اليهود على نشرها لغرض في

---

(١) هو:شارلس روبرت دارون، عالم أحياء انجليزي ، ولد عام ١٨٠٩م ،صاحب فلسفة إلحادية مادية ، قال بنظرية النشوء والارتقاء ، مات عام ١٨٨٢م، انظر :الموسوعة العربية الميسرة ،١/ ٧٧٤ ،والموسوعة الفلسفية للحنفي، ص١٧٧ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٤٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ١/ ١٨٢ بتصرف وينظر : ٤/ ٢٣٧٦ .

(٤) المصدر السابق ، ١/ ١٨٣ ، ٤/ ٢٤٥٩ ، الهامش (١) .

نفوسهم وغاية في مخططاتهم [١].

وقد أثارت نظرية "دارون" دهشة العالم عند ظهورها ، وتأثر بها بعض المفكرين المسلمين، وحاول بعضهم التوفيق بينها وبين النصوص القرآنية في قضية بدء الخلق " [٢].

أما سيد قطب – رحمه الله – فكان موقفه من هذه النظرية هو موقف الرفض والإبطال والتعجب من الذين حاولوا التوفيق بينها وبين النصوص القرآنية .

ففي ظلال الآيات التي تتحدث عن بدء الخلق وعن خلق آدم وخلق الإنسان عمومًا، تعرض سيد لنظرية دارون، مبينًا مصادمتها للنصوص القرآنية ، ومستعرضًا أسباب بطلانها والتي يمكن إجمالها في الآتي :

١ – أنها مجرد نظرية وليست نتائجها نهائية ، فقد دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان ما يكاد يغيرها نهائيًا .

٢– ظهور النقص فيها نظرًا لقياسها على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التي تحتفظ لكل نوع بخصائصه ولا تسمح بانتقال نوع إلى نوع آخر [٣] .

٣– أن اعتماد نظرية النشوء والارتقاء على الحفريات ، ووجود أطوار مترقية من الحيوانات هو مجرد نظرية " ظنية " وليست " يقينية " لأسباب منها :

أ– أن تقدير أعمال الصخور ذاته في طبقات الأرض ليس إلا ظنًا ! فهو مجرد فرض كتقدير أعمار النجوم من إشعاعها ، وليس هناك ما يمنع من ظهور فروض أخرى تعدلها أو تغيرها .

ب–على فرض العلم اليقيني بأعمار الصخور ليس هناك ما يمنع من وجود "أنواع" من الحيوان في أزمان متوالية بعضها أرقى من بعض، بفعل الظروف السائدة في الأرض، ومدى ما تسمح به من وجود أنواع تلائم هذه الظروف السائدة

---

(١) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢١٤٣ ، ومقومات التصور الإسلامي ، ص٢٥٢ .

(٢) منهج الشيخ / حسين الجسر في كتابه " الرسالة الحميدية " طبعة إدارة الطباعة المنيرية – سُنَّة١٣٥٢هـ ، ص٢٢٠ ، والشيخ محمد عبده وتلميذهما الشيخ رشيا رضا ، انظر : منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، لتامر محمد متولي ، دار ماجد عسيري ، جدة ،ط١ ، عام ١٤٢٥هـ ، ص ٣٢٣ –٣٢٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، ١/ ١٨٣ ، والإسلام ومشكلات الحضارة – سيد قطب – ص ٤٦ وما بعدها .

في حياتها ، ثم انقراض بعضها حين تتغير الظروف السائدة بحيث لا تسمح لها بالحياة، ولكن هذا لا " يُحتّم " أن يكون بعضها " متطورًا " من بعض . وحفريات " دارون " وما بعدها لا تستطيع أن تثبت أكثر من هذا، وعندئذٍ تكرر نشأة النوع الإنساني مستقلة في الزمن الذي علم الله أن ظروف الأرض تسمح بالحياة والنمو والترقي لهذا النوع ، وهذا ما ترجحه النصوص القرآنية في نشأة البشرية [١] .

أن تكوين الإنسان تكوين خاص متفرد ، يزيد على مجرد التركيب العضوي الحيوي الذي يشترك فيه مع بقية الأحياء ، وأيا كانت نشأة الحياة ، ونشأة الأحياء فإن الإنسان ينفرد بخاصية الروح الإلهي المودع فيه ، والتي تجعل منه إنسانًا متفردًا عن الأحياء الأخرى ، وهذه الروح لم تجيء للإنسان بعد مراحل أو أطوار .. فلم يجيء على الإنسان زمان كان فيه مجرد حي من الأحياء – بلا روح إنساني خاص – ثم دخلته هذه الروح .

وقد اضطرت الداروينية الحديثة على يد – جوليان هاكسلي [٢] – أن تعترف بشطر من هذه الحقيقة الكبيرة ، وهي تقرر" تفرد الإنسان " من الناحية الحيوية والوظيفية، ومن ثم تفرده من الناحية العقلية ، وما نشأ عن ذلك كله من تفرده من الناحية الحضارية .

فتفرد الإنسان من الناحية البيولوجية والفسيولوجية والعقلية والروحية الذي اضطر الداروينيين المحدثين – وفيهم الملحدون بالله كلية – للاعتراف به ، دليل مرجح على تفرد النشأة الإنسانية وعدم تداخلها مع الأنواع في تطور عضوي ، وبالتالي فالتوفيق عسير بين ما انتهت إليه الداروينية الحديثة من تفرد الإنسان ، وبين القاعدة التي تقوم عليها الداروينية ، وهي قاعدة التطور المطلق ، وتطور الإنسان عن الحيوان [٣] .

أن هذه النظرية تصادم النصوص القرآنية وهذا من اظهر الأدلة على بطلانها،

---

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٦٤ – ١٢٦٥ ، ٤/ ٢١٤٣ – ٢١٤٤ .

(٢) هو : أحد علماء الداروينية الحديثة، أبطل جذور نظرية دارون فيما يخص الإنسان ، انظر :معجم الفلاسفة ، ص٦٤٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٦٥ ، ٤/ ٢١٤٢– ٢١٤٣ بتصرف يسير ، والإسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٤٢ وما بعدها .

يقول سيد - رحمه الله - : " إن مجموع النصوص القرآنية في خلق آدم ؛ وفي نشأة الجنس البشري ، ترجح أن إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية ، ووظائفه المستقلة كان مصاحبًا لخلقه ، وأن الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقيًا في بروز هذه الخصائص ونموها، وتدريبها واكتسابها الخبرة العالية ، ولم يكن ترقياً في " وجود " الإنسان من تطور الأنواع حتى انتهت إلى الإنسان كما تقول الداروينية " [١] .

" فالواقع المشهود يكذب هذا الفرض لتفسير الصلة بين الحيوان والإنسان ، ويقرر أن الحيوان لا يحمل هذه الخصائص فيقف دائمًا عند حدود جنسه الحيواني لا يتعداه ،.. ويبقى النوع الإنساني متميز بأنه يحمل خصائص تجعل منه إنسانًا، وهي ليست نتيجة تطور آلي ، إنما هي هبة مقصودة من قوة خارجية [٢] . " وأقصى ما يقال : إن نظرية النشوء والارتقاء لا تعارض مفهوم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [٣] . في أن الماء هو مصدر الحياة الأولى كما يقول " دارون " وما سوى ذلك فيصطدم بالنصوص القرآنية[٤] .

وإضافة إلى ما سبق من بيان سيد لأدلة بطلان هذه النظرية ، فإنه يرى أيضًا أن فيها تحقيرًا للإنسان وتجريدًا له من كل عنصر روحي ، فإيحاءات الداروينية ومثلها الفرويدية والماركسية، هي أبشع ما تبتلي به الفطرة البشرية ، حيث توحي إلى البشر بأن كل سفالة وكل قذارة ، وكل حقارة، هي أمر طبيعي متوقع ، ليس فيه ما يستغرب ، ومن ثم ليس فيه ما يخجل .. وهي جناية على البشرية تستحق المقت والازدراء [٥] .

ثالثًا: موقفه من الوجودية :

الوجودية : اتجاه فلسفي إلحادي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده ، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة ولا يحتاج إلى موجه، وتقوم الفلسفة الوجودية على أساس القول بالعدمية والتعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير داعٍ

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٤٦ ، ٤/ ٢١٤٢
(٢) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٤٥٩ الهامش .
(٣) سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٣٧٦ .
(٥) المصدر السابق ، ٦/ ٢٩٦٥ ، وهذا الدين ، ص ٧٧ الهامش .

ويمضي لغير غاية ، والحياة كلها سخف لذا يتخلص بعضهم منها بالانتحار .

وقد ظهرت الوجودية في أوروبا كرد فعل على تسلط الكنيسة وتحكمها بالإنسان بشكل متعسف باسم الدين والإله ، وتأثرت بعد ذلك بالحركات الإلحادية الأخرى، كالعلمانية وغيرها [١] .

ويرى سيد - رحمه الله -أن مأساة " الوجودية " الكبرى هي تصورها النكد والخبيث للوجود الكوني والبشري ، حيث ترى أن الوجود الكوني ، بل والوجود الجماعي للبشرية ذاتها معاكسًا في طبيعته للوجود الفردي الإنساني ، متجهًا بثقله الساحق إلى سحق هذا الوجود الإنساني ! هذا التصور البائس ينشئ حالة من الانزواء والانكماش والعدمية ! أو ينشئ حالة من الاستهتار والتمرد والفردية ! وفي كلتا الحالتين لا يكون إلا القلق المضني ! والبؤس النفسي والعقلي ، والشرود والتيه ، تيه التمرد أو تيه العدم ، وهما سواء .

وهي ليست مأساة " الوجودية " وحدها من مذاهب الفكر الأوربي ، إنها مأساة الفكر الأوربي كله - بكل مذاهبه واتجاهاته - بل مأساة الجاهلية كلها في جميع أزمانها وبيئاتها ، المأساة التي يضع لها الإسلام حدًا بعقيدته الشاملة ، التي تنشئ في الإدراك البشري تصورًا صحيحًا لهذا الوجود ، وما وراءه [٢] .

رابعًا: موقفه من العلمانية والديمقراطية :

العلمانية: مصطلح غربي ظهر مع الثورة الفرنسية ،ويعني: إقصاء الدين عن الحياة،وإقامة الحياة في كل مجالاتها بعيدًا عن توجيهات الدين والإله ، ولها صورتان:

١-العلمانية غير الملحدة : وهي التي لا تنكر وجود الله ، ولكنها تنكر أحقيته في الحكم والتشريع .

٢-العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كله ، وتنكر الخالق ، وتحارب من يدعوا إلى الإيمان [٣] .

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط١ ، عام ١٤١٦هـ ، ٢/ ٨٢١ وما بعدها .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٦٣ بتصرف يسير .

(٣) العلمانية وثمارها الخبيثة ، محمد شاكر الشريف ، ص ١٠ .

وقد تعرض سيد قطب - رحمه الله - للعلمانية في كثير من كتبه ، مبينًا أسباب نشأتها ودخولها إلى العالم الإسلامي ، وكذا آثارها في الحياة ، وحكم الإسلام فيها وفي أهلها ، ويمكن بيان ذلك في النقاط الآتية :

أ- أسباب نشوء العلمانية:

ذكر سيد قطب أن نشأة العلمانية في أوروبا ترجع إلى عدة أسباب منها:

١- طغيان الكنيسة في الغرب ،الأمر الذي جعل الناس يهربون من الكنيسة الطاغية الباغية ، ومن إلهها الذي تزعم أنها تنطق باسمه وتحرّم على الناس أن يتفكروا وأن يتدبروا ، وتفرض عليهم باسمه الإتاوات الباهضة ، والاستبداد المنفر ، وصكوك الغفران ، وقرارات الحرمان ، ومحاكم التفتيش ، فلما همَّ الناس أن يتخلصوا من هذا الكابوس ، تخلصوا من الكنيسة وسلطانها ، لكنهم لم يقفوا عند حد الاعتدال ، فتخلصوا كذلك من إله الكنيسة وسلطانه ، ثم تخلصوا من كل دين يقودهم في حياتهم الأرضية بمنهج الله ، وكانت الشقوة وكان البلاء [١] .

٢- عجز الديانة المسيحية في أوروبا عن قيادة الحياة الاجتماعية للأمم التي عاشت عليها ، بسبب الانفصال بين القيم الروحية والقيم العملية ، نتيجة لعدة ملابسات تاريخية من ناحية ، ولكونها جاءت موقوتة لزمن ثم عاشت بعد زمنها من ناحية أخرى ، ومن ناحية أخرى كان للعداوة المستحكمة بين اليهود والمسيح - عليه السلام - وأتباع دينه أثر في الانفصال بين التوراة المتضمنة للشريعة والإنجيل المتضمن للتهذيب الأخلاقي والروحي، فلما وقع ذلك الانفصال في الدين المسيحي، عجزت المسيحية عن أن تكون نظامًا شاملًا للحياة البشرية ، واضطر أهلها إلى الفصل بين القيم الروحية والقيم العملية في حياتهم كلها ![٢] .

٣- الجفوة التي قامت في الغرب بين الدين والعلم ، وبين الكنيسة والفكر، والفصام النكد بسبب سياسة تكميم الأفواه ، وتعطيل الأفكار المتحررة من الجهل

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٣٨ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٤٠٠ بتصرف .

والخرافة ، والتصادم بين النظريات العلمية الحديثة وبين مقررات الكنيسة المحرفة ، كل ذلك جعل الناس يكرهون الكنيسة والدين ويعادونهما [١] .

٤- التحالف غير الشريف بين أرباب الكنيسة وبين الملوك والحكام ، والتقاء مصلحتيهما في تسخير الجماهير واستغلال الدهماء بعد عصور من النزاع بينهما، جعل الناس ينظرون إلى الدين على أنه مسخر لإخضاع الملايين للمستبدين ورجال الدين فكان لا بد من الخروج عليه [٢] .

٥- تحول الكنيسة ورجالها إلى الإقطاع وانضمامها إلى معسكر رؤساء الأموال ضد الجماهير [٣] .

ب- دخولها العالم الإسلامي :

يقول سيد : " نظرية العلمنة استوردت من الغرب إلى العالم الإسلامي ذلك أن قصة العزلة بين الدين والدنيا لم تنبت في العالم الإسلامي ، ولم يعرفها الإسلام، ولكنه التلقف لما عند الغربيين والمحاكاة دون التفتيش عن أصول هذه النظريات وأسباب نشأتها " [٤] .

ويلخص سيد قطب - رحمه الله - أسباب استيراد المسلمين لهذه النظرية بالآتي :

١- الجهل بحقيقة الدين الإسلامي .

٢- الجهل بطبيعة المجتمعات وقوانين الحياة .

٣- الكسل العقلي والنفسي عن مراجعة الرصيد الإسلامي من الأنظمة والتشريعات.

٤- التقليد المضحك للاتجاه الغربي أو الشرقي في فصل الدين عن الحياة ، حيث اقتضت ذلك طبيعة نشأة الدين عندهم دون أن تقتضيها طبيعة نشأة الإسلام [٥] .

٥-جهود الصليبية والصهيونية العالمية في غرس الزعامات العلمانية في العالم

---

(١) العدالة الاجتماعية ، ص ١٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ ، والمستقبل لهذا الدين ، فصل "الفصام النكد "، ص ٢٤- ٤٦ .

(٤) العدالة الاجتماعية ، ص ٨ بتصرف يسير

(٥) المصدر السابق ، ص ١٨ بتصرف .

الإسلامي ودعمها كما فعلوا مع " أتاتورك " الذي فرض العلمانية بقوة الحديد والنار .

٦- الاغترار بالدعاية الغربية التي تخدر مشاعر المسلمين ، من خلال إظهار احترام الدين بقصره على بعض جزئياته ، وإلباس الجاهلية ثوب الإسلام .

٧- ترويج المستشرقين للفكر العلماني والعمل على نشره والدعاية له [١]

٨- الاستعمار الصليبي للعالم الإسلامي وجهوده في زحزحة الشريعة الإسلامية ، وفصلها عن الحياة [٢] .

ج- هل هناك مبرر للعلمانية في العالم الإسلامي :

بعد أن استعرض سيد - رحمه الله - أسباب نشأة العلمانية في الغرب بيّن أننا نحن المسلمين لا علاقة لنا بهذا كله ، فظروفنا التاريخية وطبيعة الإسلام وظروفه ليست في شيء من ذلك ، وبالتالي فلا مبرر للعلمانية في العالم الإسلامي للأسباب الآتية :

أن التشريع الإسلامي جاء شاملًا للدنيا والدين ، متضمنًا للقوانين والنظم التي توجه الفرد والمجتمع في جميع نواحي الحياة إلى قيام الساعة ، وليس فيه الانفصال بين الدين والدنيا .

أن الإسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق ، وباستطاعة كل مسلم في أي مكان من الأرض أن يتصل بربه بلا كاهن ولا قسيس ، فليس في الإسلام " رجل دين " بالمعنى المفهوم في الغرب ، حيث لا تصح مزاولة الشعائر التعبدية إلا بحضوره .

أن الحاكم في الإسلام لا يستمد ولايته من " الحق الإلهي " ولا من الوساطة بين الله والناس، وإنما يستمدها من الجماعة الإسلامية - أي باختيار أهل الحل والعقد له- كما يستمد السلطة ذاتها من تنفيذ الشريعة التي يستوي في فهمها وتطبيقها والاحتكام إليها الناس جميعًا على السواء ، فليس للحاكم إلا تنفيذ الشريعة ، فلا صراع إذًا بين علماء الدين والسلطان على رقاب العباد ولا أموالهم ، وليست هناك

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٢١ ، بتصرف .
(٢) المستقبل لهذا الدين ، ص ٧ .

مصالح اقتصادية ولا معنوية يتنازعونها ، وليست هناك سلطة روحية وأخرى زمنية في الإسلام كما كان الحال بين الأباطرة والباباوات .

أن الإسلام لا يعادي العلم ولا يكره العلماء بل يجعل العلم المؤدي إلى معرفة الله-وكل علم صحيح يؤدي إلى هذه الغاية- فريضة مقدسة داخلة في الطاعات الدينية "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(١)

أن التاريخ الإسلامي لم يعرف تلك الاضطهادات المنكرة المنظمة لرجال الفكر والعلم ، كما عرفتها محاكم التفتيش ، والمرات القليلة النادرة التي عوقب فيها رجال على أفكارهم تعد شاذة ، فلا جفوة إذاً بين الدين والعلم الصحيح ، في طبيعة الإسلام وتاريخه كما كان في أوربا .

أن الإسلام لا يُقِّر ظلم الحكام ، ولا يسمح للعلماء بالسكوت عنه ، بل يجعل أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر،وقد حفظ التاريخ كثيرا من النماذج في مواجهة الطغاة من الحكام .

وبناءً على ما سبق فليس هناك سبب واحد لتنحية الإسلام عن المجتمع ،لا من طبيعته الخاصة ، ولا من ظروفه التاريخية كالأسباب التي لازمت المسيحية في أوربا فعزلت الدنيا عن الدين ، وتركت للدين تهذيب الضمير وتطهير الوجدان، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة " (٢).

د- خطورة العلمانية وآثارها على البشرية :

إن الافتراق بين النشاط المادي وبين المنهج الرباني، وافتراق الدنيا والآخرة، والدين والحياة، ووجود الفصام بين منهج الله وحياة الناس لا يثمر في الحياة البشرية إلا آثارًا سيئة ، وقلقًا وحيرةً وشقاءُ قلب وبلبلة خاطر، عندما يحاول الناس الاحتفاظ بعقيدتهم في الله ، ويحاولوا معها مزاوَلة الحياة في المجتمع الذي يقوم نظامه كله وأوضاعه وتصوراته ووسائل الكسب فيه على غير منهج الله ، فتتصادم فيه العقيدة

---

(١) رواه ابن ماجة من كتاب العلم ، ينظر : سنن ابن ماجة للحافظ محمد بن يزيد القزويني ، دار المعرفة بيروت ط١ عام ١٤١٩ هـ ،١/ ٩٧ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ، مكتبة المعارف - الرياض ط١ عام ١٤١٧هـ ١/ ٩٢

(٢) العدالة الاجتماعية ، ص ١١-١٦ بتصرف يسير .

والخلق والسلوك الديني مع الأوضاع والقوانين والقيم والموازين في المجتمع .

ولا يجوز أن تخدعنا ظواهر كاذبة ، في فترة موقوتة ، عندما نرى أممًا لا تؤمن ولا تقيم منهج الله وهي موفورة الخيرات كثيرة الإنتاج ، فهو رخاءٌ موقوت حتى تفعل السنن الثابتة فعلها الثابت ، وحتى تظهر كل آثار الفصام النكد بين الإبداع المادي والمنهج الرباني ، وقد ظهرت الآن بعض هذه الآثار في صور شتى منها :

١ - سوء توزيع الثروات في هذه الأمم، مما يجعل المجتمع حافلًا بالشقاء والأحقاد والمخاوف.

٢ - الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي عاجلًا أو آجلًا إلى تدمير الحياة المادية ذاتها .

٣ - القلق العصبي والأمراض المتنوعة التي تجتاح الأمم .

٤ - الخوف الذي تعيشه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع [١] .

هـ- الديمقراطية وعلاقتها بالعلمانية :

الديمقراطية : مصطلح غربي يطلق على نظام الحكم الذي يقوم على حاكمية الشعب، وهي مركبة من كلمتين : "ديمو" و" كراتس" وتعني حكم الشعب أو سلطة الشعب ، بمعنى أن الشعب يحكم نفسه بنفسه عن طريق المجالس النيابية وبنظام الأغلبية ، حيث تمارس هذه المجالس حق التشريع المطلق وإصدار القوانين بناءً على رأي الأغلبية فيها، والديمقراطية وليدة للعلمانية ، فعندما ثار الأوربيون على النظام الديني الذي كانت تمثله الكنيسة وأعلنوا إقصاءه وعزله عن الحياة في جوانبها العملية ، لم يكن أمامهم إلا النظرية الديمقراطية القائمة على حاكمية الشعوب عن طريق المجالس النيابية [٢].

ولسيد قطب – رحمه الله – موقف من النظام الديمقراطي يتمثل في الآتي :

١ - الديمقراطية نظام وضعي بشري لا يجوز الخلط بينه وبين الإسلام :

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٣٣- ٩٣٤ بتصرف .
(٢) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب

يقول سيد :" لم استسغ حديث من يتحدثون عن " اشتراكية الإسلام " و "ديمقراطية الإسلام " وما إلى ذلك من الخلط بين نظام من صنع الله سبحانه وأنظمة من صنع البشر ، تحمل طابع البشر وخصائصهم من النقص والكمال والخطأ والصواب ،والضعف والقوة ، بينما نظام الإسلام الرباني بريء من هذه الخصائص ، كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " [١].

٢- الديمقراطية في الواقع هي حكم الأقلية للأكثرية :

يقول سيد: " والحقيقية أن حكاية الاختيار الحر من الشعب خرافة ، والجماهير تحس في أعماقها بضخامة هذه الخرافة ، لأن الناخب يدرك أنه غير حر في إبداء إرادته الحقيقة ، وعيشه ولقمة الخبز التي تحفظ حياته في يد صاحب رأس المال الذي ينتخبه، وعلى فرض المستحيل في استمتاع الناخب بحريته المطلقة وهو يختار الرجال للبرلمان ، فهذا البرلمان بحكم تكوينه من طبقة معينة تقل فيها العناصر التي هي من الجماهير حقيقة لا دعاية ، فسيكون ما يسنه من تشريعات في مصلحة رؤوس الأموال[٢] . " بل ليس للديمقراطيات الشعبية من اسمها نصيب إلا كنصيب "العالم الحر " من اسمه ، فالديمقراطيات التي تحكم حكما دكتاتوريا مباشرا ، تحرسه الجاسوسية الرهيبة ولها أجهزتها وأقلامها وألسنتها ، وهي تستحق منا المكافحة كما نكافح الاستعمار ، ويكفينا راية الإسلام " [٣].

ويقول أيضا : " لقد هربت أوروبا من الله وثارت عليه[٤] في أثناء هروبها من الكنيسة وثورتها عليها وظن الناس أنهم سيجدون إنسانيتهم وحريتهم وكرامتهم ومصالحهم في ظل الأنظمة الفردية (الديمقراطية) وعلقوا كل آمالهم على الحريات والضمانات التي تكفلها لهم الدساتير الوضعية والأوضاع النيابية البرلمانية، والحريات الصحفية ، والضمانات القضائية والتشريعية ، وحكم الأغلبية المنتخبة ... إلى آخر هذه الهالات التي أحيطت بتلك الأنظمة ، ثم ماذا كانت العاقبة ؟ كانت العاقبة هي طغيان " الرأسمالية " ذلك الطغيان الذي أحال كل

---

(١) العدالة الاجتماعية ، ص ١٦٢ .

(٢) السلام العالمي والإسلام – سيد قطب – ص ١٦٢ .

(٣) دراسات إسلامية – سيد قطب – ص ١٦٣ بتصرف.

(٤) لا ينبغي استعمال مثل هذا التعبير في حق الله تعالى ، ويمكن أن يقال : تمردت على شرع الله (د/ الديلمي).

تلك الضمانات ، وكل تلك التشكيلات، إلى مجرد لافتات ، والى مجرد خيالات !، ووقعت الأكثرية الساحقة في عبودية ذليلة للأقلية الطاغية، التي تملك رأس المال ،فتملك معه الأغلبية البرلمانية ! والدساتير الوضعية ! والحريات الصحفية ! وسائر الضمانات التي ظنها الناس هناك كفيلة بضمان إنسانيتهم وكرامتهم وحريتهم ، في معزل عن الله !!! "[١] .

بل ليس للديمقراطيات الشعبية من اسمها نصيب إلا كنصيب " العالم الحر " من اسمه فالديمقراطيات الشعبية هي الديمقراطيات التي تحكم حكمًا ديكتاتوريًا مباشرًا، تحرسه الجاسوسية الرهيبة ولها أجهزتها وأقلامها وألسنتها ، وهي تستحق هنا المكافحة كما نكافح الاستعمار ويكفينا راية الإسلام[٢] .

و - حكم الإسلام في أنظمة الحكم غير الإسلامية : (الاشتراكية والرأسمالية والعلمانية والديمقراطية) :

قبل الحديث عن حكم الإسلام في أنظمة الحكم غير الإسلامية ، نشير إلى بعض الحقائق التي قررها سيد – رحمه الله – فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام وبين النظم والنظريات الأخرى ، في مواضع كثيرة من كتبه، وهذه الحقائق هي :

الحقيقة الأولى : " أن حقيقة الدين الإسلامي لا تكمل إلا بالاتباع الكامل لما جاء به النبي ﷺ عن ربه – جل وعلا – في كل شئون الحياة ، فليس لهذا الدين صورة إلا هذه الصورة "[٣] .

الحقيقة الثانية : " أن طبيعة الدين الإسلامي تأبى أن ينفصل عن الدنيا ، أو أن ينحصر في الأخلاقيات والشعائر التعبدية ، أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية[٤] ، وذلك لأن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة ، فيقوم على هذه الشريعة نظام ، ومن العقيدة والشريعة والنظام تتكون شجرة الإسلام كما تتكون كل شجرة من جذر وسابق وثمرة ، فلا ساق ولا ثمار بلا جذور ضاربة في الأعماق ، ولا قيمة

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٤٢ بتصرف يسير .
(٢) دراسات إسلامية ، ص ١٦٣ بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٣٨٠ ، ١٦٤٢ بتصرف .
(٤) المستقبل لهذا الدين ،ص ٢٤ .

لجذور لا تنبت ساقًا ، ولا جدوى في ساق لا تعطي أكلها للحياة ، لذلك حرص الإسلام على أن يكون الحكم لشريعته في الحياة قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ، وبذلك تختفي من الإسلام أسطورة فصل الدين عن الدولة لأنه لا دولة بلا دين ، ولا دين بلا شريعة ونظام"[2] .

الحقيقة الثالثة: " أن ما سوى الإسلام من النظم فهي جاهلية ، مهما تعددت أشكالها وبيئاتها وأزمانها ، وهي تقوم على أساس عبادة العباد للعباد، وهو ما جاء الإسلام ليحرر البشرية منه ويوحد العبودية لله في الأرض"[3] "وبالتالي فلا يجوز الخلط بين الإسلام وغيره من النظم والمناهج، فالإسلام هو الإسلام والاشتراكية هي الاشتراكية، والديمقراطية هي الديمقراطية،ذلك منهج الله،وهذا وتلك من مناهج البشر وتجاربهم" [4] .

الحقيقة الرابعة : " أن حياة الناس في الأرض لا تصلح إلا بهدي الإسلام وقيادته ومنهجه ، لا تصلح بالإقطاع والرأسمالية ، كما أنها لا تصلح بالشيوعية والاشتراكية العلمية ، ولا تصلح بالثيوقراطية ، كما أنها لا تصلح بالدكتاتورية أو الديمقراطية! فكلها سواء في كونها من مناهج العمي الذين يقيمون من أنفسهم أربابا من دون الله ، فتضع هي مناهج الحكم والحياة ،وتشرع للناس ما لم يأذن به الله ، وتعبدهم لما تشرع ، فتجعل دينونتهم لغير الله ، وآية هذا الذي نقوله هو هذا الفساد الذي يعم وجه الأرض اليوم في جاهلية القرن العشرين وهذه الشقوة التي تعانيها البشرية في مشارق الأرض ومغاربها سواء في ذلك أوضاع الإقطاع والرأسمالية وأوضاع الشيوعية والاشتراكية العلمية ،وسواء في ذلك إشكال الدكتاتورية في الحكم أو الديمقراطية ، إنها كلها سواء فيما تلقاه البشرية من خلالها من فساد وتحلل وشقاء وقلق لأنها كلها من مناهج العمي الذين لا يعلمون " [5].

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٤

(٢) دراسات إسلامية - سيد قطب - ص ٢٨ ، ومعركتنا مع اليهود - سيد قطب - ص ٤٤ ، وفي ظلال القرآن ، ١/ ٤٠٠ ، ٣/ ١٦٤٣ .

(٣) المستقبل لهذا الدين - سيد قطب - ، ص ١٠١٩ .

(٤) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٨٣ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٠٧٥ بتصرف يسير.

الحقيقة الخامسة : " أن واجب الدعاة إلى هذا الدين في الأرض ، أن ينزلوا تلك اللافتات الخادعة المرفوعة على الأوضاع والنظم الجاهلية المختلفة ، وتعرية الجاهلية من ردائها الزائف وإظهارها على حقيقتها شركًا وكفرًا ، دون تحرج - فالتحرج في غير موضعه يعوق انطلاقة الحركة الإسلامية في مسيرتها لتمكين الدين " [١] .

وبناء على ما سبق : فإن سيد قطب - رحمه الله - يرى أن الأنظمة العلمانية على اختلاف مسمياتها تمثل أنظمة طاغوتية جاهلية ، تتعارض مع شهادة لا إله إلا الله ".

بل يرى أن شرك العلمانيين اليوم أعظم من شرك الجاهليين ، وأن الإيمان بالعلمانية هو تنصل من الدين وكفر وشرك يناقض أصل الإسلام ، القائم على الاستسلام لله تعالى في شؤون الحياة فيقول - رحمه الله - : " وفي قصة شعيب تبدو القضية واضحة جادة ، فقد كان مدار المعركة على التشريع للمعاملات الاقتصادية والسياسية ، تبعًا لما دعاهم إليه من توحيد الله ، فكانوا يستغربون الربط بين هذا وبين الإيمان بالله وحده والصلاة ، فكانوا يقولوا مثلما يقول اليوم ناس - وبعضهم يزعمون أنهم مسلمون - ويحملون أسماء إسلامية ، وقد يذهبون إلى المساجد فيصلون ! : ما للدين ونظام المجتمع ، وماله والتشريع لحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية ! وما لإدخال الدين في التشريع والسياسة والحياة الدنيا وهو مختص بالاعتقاد والعبادة والدار الآخرة ؟ وإذا سمحوا للدين بالوجود فإنهم يسمحون له عقيدة تستكن في الضمير ، وعبادة تؤدي بالشعائر ، وهذه وذاك هما نصيب الله في الحياة عندهم ، وحدود اختصاصهم ، ثم يزعمون أنهم مسلمون !! وما هم بالمسلمين !! " [٢] .

-ويقول في ظلال قوله- تعالى-عن أهل الكتاب ﴿ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [٣] معلقًا على إعراض أهل الكتاب عن الاحتكام إلى كتاب الله مع ادعائهم الإيمان : " ومثل أهل الكتاب من يزعمون اليوم أنهم مسلمون ، ثم يُدعَون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون ، وفيهم من يتبجحون ويتوقحون

---

(١) المصدر السابق ، ٣/ ١٦٤٩ ، ١٦٤٣ ، بتصرف يسير .
(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ١٣٦ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ٢٤ .

ويزعمون أن حياة الناس دنيا لا دين! وأن لا ضرورة لإقحام الدين في حياة الناس العملية .. ثم يزعمون أنهم مسلمون ! .. وهو نفس الظن الذي كان يظنه أهل الكتاب .. وهؤلاء وأولئك سواء في تنصلهم من أصل الدين وتملصهم من حقيقته التي يرضاها الله " (١) .

ويقول أيضا : " والجاهلية على شركهم لم يكونوا يتبجحون تبجح الجاهليات الحديثة التي تقول : ما للدين وشئون الحياة ، وتزعم أنها صاحبة الحق في اتخاذ الأوضاع والشرائع والقيم والموازين .. من دون الله " (٢) .

" فالجاهلية اليوم ليست أفضل من جاهلية قوم شعيب فالشرك الذي كان يزاوله قوم شعيب هو ذاته الشرك الذي تزاوله البشرية بجملتها اليوم، من الفصل بين العقيدة والشعائر ، والشريعة والتعامل ... وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله، حيث يوجد بيننا اليوم من يستنكر وجود صلة بين العقيدة والأخلاق ، ويتساءلون في استنكار : ما للإسلام وسلوكنا الشخصي ؟ ما للإسلام والعري في الشواطئ ؟ ما للإسلام وزي المرأة ؟ ما للإسلام والطاقة الجنسية ؟ ما للإسلام والتدخل في الاقتصاد .. وما تستقيم عقيدة في القلب ثم تترك شريعة الله في السلوك ، ولا يمكن أن يجتمع التوحيد والشرك في قلب واحد ، والشرك ألوان منه هذا اللون الذي نعيش به الآن – العلمانية – وهو يمثل أصل الشرك وحقيقته التي يلتقي عليها المشركون في كل زمان ومكان " (٣) .

وعموما : " فالمسلم بحكم إيمانه بالله وعلمه بأن ما أنزل على محمدﷺ هو الحق، يرفض كل منهج للحياة غير منهج الله ، وكل مذهب اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي كذلك، فمجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضع أو حكم من صنع غير الله هو بذاته خروج من دائرة الإسلام لله ...وفوق أنه يخالف بالضرورة مفهوم الإسلام الأساسي ، فهو في الوقت ذاته يسلم الخلافة في هذه الأرض للعميان الذين ليس من ورائهم إلا الفساد " (٤) .

---

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٨٣ .
(٢) المصدر السابق ، ٣/ ١٢٨٠ .
(٣) في ظلال القرآن ، ٤/ ١٩١٩-١٩٢٠ بتصرف .
(٤) المصدر السابق: ٤/ ٢٠٧٦ بتصرف .

الفرع الخامس : موقفه من الاستشراق :

الاستشراق هو : تيار فكري يقوم على دراسة الشرق الإسلامي وحضارته ، ويصوغ أصحابه التصورات الغربية عن العالم الإسلامي من منطلق الصراع الحضاري في الغالب [١] .

وهو مؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري ، وأداة من أدوات الاستعمار الصليبي الصهيوني .

وقد عمل سيد – رحمه الله –على بيان حقيقة المستشرقين وأهدافهم ووسائلهم في حرب الإسلام، وحذر كثيرًا من التلقي عنهم والاعتماد على كتاباتهم ، ويمكن إجمال ذلك في الآتي :

١ـ حقيقة المستشرقين وأهدافهم :

يرى – سيد قطب – " أن المستشرقين هم : الأداة الفكرية للاستعمار الصليبي الصهيوني " [٢] . " وأنهم طليعة الهجوم على هذا الدين وأهله " [٣] .

" إنهم جيلٌ بعد جيل يدرسون هذا الدين دراسة دقيقة عميقة ، وينقّبون عن أسرار قوته ، وعن مداخله إلى النفوس ومساربه فيها، ويبحثون بجد : كيف يستطيعون أن يفسدوا القوة الموجهة في هذا الدين ؟ كيف يُلقون بالريّب والشكوك في قلوب أهله ؟ كيف يحرفون الكَلم عن مواضعه ؟ كيف يصدون أهله عن العلم الحقيقي به ؟ كيف يحولونه من حركة دافعة تحطم الباطل والجاهلية وتسترد سلطان الله في الأرض وتطارد المعتدين على هذا السلطان وتجعل الدين كله لله ، إلى حركة ثقافية باردة ، وإلى بحوث نظرية ميتة ، وإلى جدل لاهوتي أو فقهي أو طائفي فارغ؟ كيف يفرغون من مفهوماته في أوضاع وأنظمةً وتصورات غريبة عنه مدمرة له ، مع إيهام أهله أن عقيدتهم محترمة مصونة ؟ كيف في النهاية يملئون فراغ العقيدة بتصورات ومفهومات واهتمامات أخرى ليجهزوا على الجذور العاطفية الباقية من

---

(١) الموسوعة الميسرة ، الندوة العالمية – الرياض ، ط٣ ، ١٤١٨ هـ ٢/ ٦٩٧ ٠ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٢١ .
(٣) المصدر السابق ، ٣/ ١٣٧٩ .

العقيدة الباهتة .

إنهم يدرسون هذا الدين دراسة جادة عميقة فاحصة ، لا لأنهم يبحثون عن الحقيقة - كما يتوهم السذج من أهل هذا الدين - ولا لينصفوا هذا الدين وأهله - كما يتصور بعض المخدوعين حينما يرون اعترافاً من باحث أو مستشرق بجانب طيب في هذا الدين! كلا ! إنما هم يقومون بهذه الدراسة الجادة العميقة الفاحصة :

أ- لأنهم يبحثون عن مقتل لهذا الدين ! .

ب- لأنهم يبحثون عن منافذه ومساربه إلى الفطرة ليسدوها أو يميعوها ! .

ج- لأنهم يبحثون عن أسرار قوته ليقاوموه منها !.

د- لأنهم يريدون أن يعرفوا كيف يبني نفسه في النفوس ليبنوا على غراره التصورات المضادة التي يريدون ملء فراغ الناس بها ! وهم من أجل هذه الأهداف والملابسات كلها يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ! " [1] .

" إن البحوث التي تكتب عن الإسلام في هذه الفترة تصدر بمعدل كتاب كل أسبوع بلغة من اللغات الأجنبية ... وتنطق هذه البحوث بمدى معرفة أهل الكتاب بكل صغيرة وكبيرة عن طبيعة هذا الدين وتاريخه ، ومصادر قوته ، ووسائل مقاومته، وطرق إفساد توجيهه ، ومعظمهم - بطبيعة الحال - لا يفصح عن نيته هذه، فهم يعلمون أن الهجوم الصريح على هذا الدين كان يثير حماسة الدفاع والمقاومة فحركات المقاومة كانت تعتمد على الوعي الديني أو على الأقل العاطفة الدينية - واستمرار الهجوم على الإسلام ولو في صورة فكرية سيظل يثير حماسة الدفاع والمقاومة ، لذلك يلجأ معظمهم إلى طريقة أخبث ، يلجأ إلى إزجاء الثناء لهذا الدين، حتى ينوم المشاعر المتوفزة ، ويخدر الحماسة المتحفزة ، وينال ثقة القارئ واطمئنانه ، ثم يضع السم في الكأس ويقدمها مترعة .. هذا الدين نعم عظيم . ولكنه ينبغي أن يتطور بمفهوماته وتنظيماته ليجاري الحضارة الإنسانية الحديثة! وينبغي ألا يقف موقف المعارضة للتطورات التي وقعت في أوضاع المجتمع ، وفي أشكال الحكم، وفي قيم الأخلاق ، وينبغي في النهاية أن يتمثل صورة عقيدة

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٦١ .

في القلوب، ويدع الحياة الواقعية تنظمها نظريات وتجارب وأساليب الحضارة "الإنسانية" الحديثة ! ويقف فقط ليبارك ما تقرره الأرباب الأرضية من التجارب والأساليب .. وبذلك يظل دينًا عظيمًا!!!

وفي أثناء عرض مواضع القوة والعمق في هذا الدين - وهي ظاهريًا تبدو في صورة الإنصاف الخادع والثناء المخدر - يقصد المؤلف قومه من أهل الكتاب ، لينبههم إلى خطورة هذا الدين ، وإلى أسرار قوت ، ويسير أمام الأجهزة بهذا الضوء الكاشف ليسددوا ضرباتهم على الهدف! "[1] .

" وبهذا نعلم أن المستشرقين يعملون جميعًا في حقل واحد في حرب الإسلام ، وتحريف منهجه ، وقتل إيحاءاته الموحية في حس المسلمين ، كي يأمنوا انبعاث هذا الروح الذي لم يقفوا له مرة في ميدان "[2] .

٢ـ وسائل المستشرقين في حرب الإسلام :

يقول سيد : " إن عمل المستشرقين خلال القرون المتطاولة من الدس في التراث الإسلامي لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد قرون ، فقد عمدوا إلى وسائل كثيرة، تحت أقنعة وشعارات كثيرة في حربهم لهذا الدين ، ومن ذلك :

أ- الدس والتلبيس: وله صور كثيرة منها :

- الدس والتلبيس في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله

- الدس والتلبيس في الحديث النبوي ، حتى قيض الله له رجاله الذين حققوه وحرروه إلا ما ند عن الجهد الإنساني المحدود .

- الدس والتلبيس في التفسير القرآني ، حتى تركوه تيها لا يكاد الباحث يفيء فيه إلى معالم الطريق .

- الدس والتلبيس في الرجال ، فالمئات والألوف كان دسيسة على التراث الإسلامي وما يزالون، فتلاميذ المستشرقين هم الذين يشغلون مناصب القيادة

(١) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٦١ - ١٠٦٢ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق ، ١/ ٢٩٤ .

الفكرية اليوم في البلاد، والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة أبطال مصنوعين على عين الصهيونية والصليبية ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعداء أن يؤدوه ظاهرين !.. في العالم الإسلامي اليوم جيش جرار من العملاء، في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين - وأحيانًا كُتَّابًا وشعراء وفنانين وصحفيين - يحملون أسماء المسلمين ، هذا الجيش من العملاء موجه لخلخة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب ، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة ، وتوهين قواعد العقيدة ، والتهوين من شأنها وشأن الشريعة ، وتأويلها وتحميلها ما لا تطيق ، والدق المتصل على " رجعيتها " والدعوة للتفلت منها ، وأبعادها عن مجال الحياة إشفاقهًا عليها من الحياة أو إشفاقًا على الحياة منها ! وابتداع تصورات ومُثل وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومُثلها،وتزيين التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات الإيمانية وإطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية ، وتشويه التاريخ كله وتحريف النصوص[١] .

ب- تشويه الجهاد في الإسلام :

" من خلال تصوير الإسلام على أنه حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة ، والمستشرقين الخبثاء يعرفون جيدًا أن هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذا الطريقة " [٢] . " بل يزعم بعض المستشرقين أن الفتوحات التي بدأت في عهد رسول الله ﷺ وسارت في طريقها في عهد الخليفتين الراشدين بعده مجرد عدوى من الروح الإمبراطورية السائدة في الأرض " [٣] .

وقد وقف سيد - رحمه الله - طويلًا في عدة مواضع من كتبه حول مزاعم المستشرقين حول طبيعة الجهاد في الإسلام ، وحقيقته وأهدافه وبواعثه [٤] .

---

(١) في ظلال القرآن ، ١٠/ ٤١٤- ٤١٥ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤٤٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٣/ ١٤٥٢ ، الهامش (٢) .

(٤) ينظر كلامه في : في ظلال القرآن ، ١/ ١٨٤- ١٩١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤- ٢٧٠ ، ٢٨٩-٢٩٣، ٤٩٩ ، ٥٦٤، ٢/ ٧٤٠-٧٤١ ، ٣/ ١٤٣١-١٤٤٧، ١٦٥٢ ، ١٧٣٨ ، ٤/ ٢٤٢٤-٢٤٢٦ ، ٥/ ٢٧٢٢، ٣١٦٦ ، ٦/ ٣٢٢١، ٣٢٨٥، ٣٣٢٤، ٣٥٥٤ .

كما حمل على بعض الباحثين المهزومين تحت ضغط الواقع ، والذين حاولوا التماس الأعذار الدفاعية التي تقوم على نفي مزاعم المستشرقين بإدعاء أن الجهاد في الإسلام ليس إلا دفاعيًا ، وغفلوا عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في " تحرير الإنسان " ابتداءً ، فالإسلام ليس نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم.. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تقلل من حرية " الإنسان " في الاختيار، وحسبه أن لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة، المفسدة للفطرة، المقيدة لحرية الاختيار [١] .

ج- تشويه موقف الإسلام من أهل الكتاب :

حيث يزعم المستشرقون – اليهود والصليبيون – سواء أن محمدًا ﷺ – لم يهاجم اليهود – بزعمهم بهذا القرآن إلا بعهد أن يئس في المدينة من استجابتهم له ، أما في مكة وأول عهده بالمدينة فكان يحاسنهم طمعًا في إسلامهم .

وقد رد سيد قطب عليهم هذا الافتراء: بأن القرآن هاجم أهل الكتاب في سورة الأعراف وهي مكية وبيّن فيها الحق في شأنهم، مما يدمغ أولئك الزاعمين من المستشرقين بالافتراء على التاريخ بعد الافتراء على الله ورسوله [٢] .

د- زعمهم أن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب :

يقول سيد –رحمه الله– في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٣] : " وليس المقصود كما يتصيد أعداء الإسلام من المستشرقين أن تقتصر الدعوة على أهل مكة ومن حولها ، فهم يقتطعون هذه الآية من القرآن كله ، ليزعموا أن محمدًا ﷺ ما كان يقصد في أول الأمر أن يوجه دعوته إلا إلى أهل مكة وبعض المدن حولها، وأنه إنما تحول من هذا المجال الضيق الذي ما كان خياله يطمح في أول الأمر إلى أوسع منه فتوسع في الجزيرة كلها ، ثم همَّ أن يتخطاها.. لمصادفات لم يكن في أول الأمر على علم بها ! وذلك بعد هجرته إلى المدينة وقيام دولته بها ! ، وكذبوا ففي

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤٤٣ بتصرف ، ودراسات إسلامية ، ص ٣٧ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ٣/ ١٣٣٢ .
(٣) سورة الأنعام ، آية ٩٢

القرآن المكي وفي أوائل الدعوة قال سبحانه لرسوله ﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[2]، ولعل الدعوة يومذاك كانت محصورة في شعاب مكة يحيط بها الكرب والابتلاء "[3].

وبناءً على ما سبق: يحذر سيد - رحمه الله -من الأخذ عن المستشرقين وتلقي المعارف منهم، لأنهم ليسوا منصفين في كتاباتهم، فيقول - رحمه الله - : " وليست البلية أن يكون المستشرقون الذين يكتبون مثل هذا الكذب هم طليعة الهجوم على هذا الدين وأهله .. إنما البلية الكبرى أن كثيرًا من السذج الأغرار ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين يتخذون من هؤلاء المزورين على نبيهم ودينهم، المحاربين لهم ولعقيدتهم أساتذة لهم، يتلقون عنهم في هذا الدين نفسه، ويستشهدون بما يكتبونه عن تاريخ هذا الدين وحقائقه، ثم يزعم هؤلاء السذج الأغرار لأنفسهم أنهم "مثقفون "[4].

الفرع السادس : موقفه من القومية :

ظهرت الدعوة إلى القومية العربية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تأثرًا بموجة القوميات التي سادت أوروبا، وكرد فعل أيضًا على الدعوة إلى القومية التركية التي ظهرت في نهاية الخلافة العثمانية، بالإضافة إلى الانحراف الفكري عند كثير من الكتّاب والمثقفين العرب المتأثرين بالثقافة الغربية.

وقد كتب سيد عدة مقالات في الرد على دعاة القومية، وكان يرى أنه لا مانع من أن يجتمع العرب تحت راية العروبة تجمعًا وقتيًا يهدف إلى تجمع أكبر منه، باعتبار ذلك خطوة في طريق الوحدة الإسلامية أو كما يسميها " الكتلة الإسلامية "، على اعتبار أنه لا تعارض بين العروبة والإسلام بهذا المعنى، فأرض العرب كلها جزء من أرض الإسلام، فإذا نحن حررنا الأرض العربية فإننا نكون قد حررنا بضعة من جسم الوطن الإسلامي، نستعين بها على تحرير سائر الجسد الواحد الكبير، بشرط

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.
(٢) سورة سبأ، الآية٢٨.
(٣) في ظلال القرآن، ٢/ ١١٤٨.
(٤) في ظلال القرآن،٣/ ١٣٧٩ -١٣٨٠.

أن نحررها باسم الإسلام ، ويكون الهدف " هو التمكين لرسالتنا الإسلامية " .

أما دعوة القومية القائمة على أن " العروبة " شيء منفصل عن "الإسلام" ، وأن الإسلام لبى حاجة العرب في زمان معين ومكان معين ، وقد اختلف الزمان وتبدل المكان ، فلا يجوز أن نحبس " الطاقة " العربية في عقائد وقيم ونظم كانت تلائم سكان الجزيرة قبل أكثر من عشرة قرون، وقبل أن يتقدم الناس فكرًا وعلمًا وحضارةً [١] ، فيرى سيد " أنها تكشف عن جهل عميق بكل شيء، سواءً عن الإسلام أو عن العروبة ، ومن العبث أن تناقش مثل هذه الجهالة، فمن الأوليات في الإسلام أو في العروبة : أن الأمة العربية ليست سوى بضعة من جسم الوطن الإسلامي ، ولن تكون إلا كذلك "[٢] .

وقد دعا سيد كثيرًا إلى " الكتلة الإسلامية " ، وهي تعني: تجمع العرب والمسلمين تحت راية الإسلام لمواجهة التكتلات الدولية [٣]، ويعتبر ذلك الطريق الوحيد، فالعالم بتكتلاته إنما يتنازع علينا نحن المسلمين، ولذلك مزقنا إلى دول صغيرة وقوميات ليسهل عليه ابتلاعنا ، والذين يدعون إلى القوميات إنما يحاولون تيسير عملية الالتهام والابتلاع على إحدى الكتلتين الشرقية أو الغربية ، وهي في الحقيقة دعوات يقوم بها مأجورون لحساب الاستعمار الغربي أو الشرقي [٤] .

ويبرر دعوته إلى " الكتلة الإسلامية " بأننا لا يمكن أن نعيش فرادى داخل الحدود الهزيلة حدود القومية العربية الضيقة ،وكذلك لا يمكن أن ننظم إلى إحدى الكتلتين اللتين تتنازعان علينا وعندئذٍ يتحتم الطريق الثالث ، طريق واحد لا مفر من أن نسلكه مخلفين وراءنا دعاة القومية المحلية الهزيلة ، ودعاة القومية العربية الضيقة ، ينعمون بخيالات القرون الماضية [٥] .

وفي معرض كلامه عن فساد دعوى القومية ، وأنها لن تحمي شيئًا للعرب ولا

---

(١) هذا الكلام لساطع الحصري ، أحد دعاة القومية العربية ، وقد ذكره سيد في دراسات إسلامية ورد عليه ، انظر دراسات إسلامية ، ص ١٦٦.

(٢) دراسات إسلامية ، ص١٦٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٤ و ٨١

(٤) دراسات إسلامية ، ص ٩٩ وما بعدها ، بتصرف .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٣-١٠٤ بتصرف يسير .

لغيرهم ، بيَّن سيد – رحمه الله – أن الإسلام وحده هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار والصليبيين على حد سواء ، ولو انتصر التتار أو الصليبيون ما بقيت قومية عربية ولا جنس عربي ولا وطن عربي ، والأندلس قديمًا وفلسطين حديثًا كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض فإنه لا تبقى فيها لغة ولا قومية [١] .

وذكر سيد أمثلة ونماذج لأنظمة وشخصيات حمت الوطن الإسلامي وليست من العرب ، كالمماليك الذين صمدوا في وجه بني جنسهم التتار تحت راية الإسلام، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم " ابن تيمية " الذي قاد التعبئة الروحية وقاتل في مقدمة الصفوف وغيرهم [٢] ، والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مائة وخمسين عامًا بعد أن تحطمت العروبة ومقوماتها ، وهو الذي كافح الاستعمار في جنوب السودان وطرابلس ومراكش [٣] .

الفرع السابع : موقفه من دعوى التقارب الديني :

الدعوة إلى التقارب الديني أو وحدة الأديان، دعوى كفرية تناقض أصول الإسلام ،ويمكن بيان موقف سيد قطب منها في النقاط الآتية :

١ـ المفهوم الإسلامي لوحدة الأديان :

يرى سيد – رحمه الله – أن المفهوم الإسلامي لوحدة الأديان يعني : أن الديانات السماوية واحدة في مصدرها تحمل حقًا واحدًا هدفه حياة البشرية ، وأن دين الأنبياء واحد في أصوله قبل أن يطاله التحريف بعد موت الأنبياء [٤] . وهذا هو ما يفهم من مصطلح وحدة الأديان بالمفهوم الإسلامي أي وحدة مصدرها وهدفها وأصولها .

٢ـ بطلان كل الأديان بعد مجيء الإسلام :

يقرر سيد : " أنه بعد بعثة النبيﷺ بالإسلام لم يعد هناك دين له قيمة يصح

---

(١) المستقبل لهذا الدين – سيد قطب – ،ص ٩٠ .

(٢) ذكر منهم سيد : صلاح الدين الأيوبي الذي حمى العروبة من الاندثار هو كردي لا عربي حفظها بالإسلام ، وكذلك فعل الظاهر بيبرس ، والمظفر قطز ، والملك الناصر.

(٣) المستقبل لهذا الدين ، ص ٩٠-٩١ .

(٤) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٦٨ ، ٢/ ١١٤٧ ، ٣/ ١٣٠٨ ، ١٣٧٩ .

التعبد به سواه، فقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [١]، معناه أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم .. وذلك طبعًا قبل البعثة المحمدية ، أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير " [٢] .

" فالدين هو الإسلام ، وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام ،لأن الله سبحانه يقول هذا ، يقول ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [٣]، ويقول ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٤] وبعد رسالة محمد ﷺ لم يعد هناك دين يرضاه الله ويقبله من أحد إلا هذا " الإسلام " في صورته التي جاء بها محمد ﷺ وما كان يقبل قبل بعثته لم يعد الآن يقبل " [٥] .

" ولا يتم الإسلام إلا باقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم ، الذي لا أرجحة فيه ولا تردد بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس – بعد رسالة محمد ﷺ – وبان منهجه الذي كلفه الله أن يقيم الحياة عليه منهج متفرد ، لا نظير له بين سائر المناهج ، ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر، ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ، ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ، ولا يعفيه الله ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه الاعتقادية والاجتماعية .. ولم يقبل عن منهجه بديلًا ولا في جزء منه صغير ، ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي ، ولا في نظام اجتماعي ، ولا في أحكام تشريعية ، إلا ما استبقاه الله في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب " [٦] .

٣ـ وجوب مفاصلة غير المسلمين :

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٥٧ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .
(٥) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩١٥ .
(٦) المصدر السابق ، ٢/ ٩١٢ .

يرى سيد " وجوب المفاصلة الكاملة بين المسلم وبين كل من ينهج نهجًا غير منهج الإسلام ، وكل من يرفع راية غير راية الإسلام "[١] ، " فإتباع الإسلام وحده هو مفرق الطريق ، فما يمكن أن يختلط هذا الدين بغيره من المعتقدات والتصورات، ولا أن تختلط شريعته ونظامه بغيره من المذاهب والأوضاع والنظريات ، وما يمكن أن يكون هناك وصفان اثنان لأي شريعة أو أي وضع أو أي نظام .. إسلامي .. وشيء آخر..!! إن الإسلام إسلام فحسب ،.. ووقفه المسلم أمام أي عقيدة ليست هي الإسلام هي وقفة المفارقة والرفض منذ اللحظة الأولى "[٢] .

٤ـ ضلال من يدعون إلى التقارب بين الأديان أو التعاون بينها لمواجهة الإلحاد :

وذلك بناءً على أن ما سوى الإسلام فهو باطل ، وبالتالي فالمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام ، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء.. ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب – بعد بعثة محمد ﷺ – هو دين يقبله الله ، ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام ! إنه لا يكون مكلفًا بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين ، وأنه يدعوهم إلى الدين[٣].

" فالذين يحاولون تمييع المفاصلة الحاسمة بين الإسلام وغيره باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية ، يخطئون في فهم معنى الأديان ، كما يخطئون في فهم معنى التسامح فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله ، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي "[٤] .

" كما أن وجود أهل الكتاب – اليهود والنصارى – بعد بعثة النبي ﷺ ليس معناه أن الله يقبل منهم ما هم عليه ، أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي،.. ومن ثم فليس هناك جبهة تدَّين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد ! . هناك "دين" هو الإسلام ، وهناك " لا دين " هو غير الإسلام ، ثم يكون هذا " اللادين" عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحاد ينكر الأديان تختلف فيما

(١) المصدر السابق ،٢/ ٩١١ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٣٩ بتصرف يسير .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٩١٥ .
(٤) المصدر السابق ، ٢/ ٩١٢ .

بينها كلها ، ولكنها تختلف كلها مع الإسلام ، ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء" [١].

" وبعض الأغرار والسذج ممن ينتسبون إلى الإسلام يدعون إلى التعاون بين الإسلام وأهل بقية الأديان للوقوف في وجه تيار الإلحاد ، في الوقت الذي يقوم فيه أهل بقية الأديان بذبح من ينتسبون إلى الإسلام في كل مكان ، ويشنون عليه حربًا تتسم بكل بشاعة الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ،عن طريق الاستعمار المباشر، ودعم الحركات العلمانية والمذاهب المادية المنحرفة والمستشرقين ، والذي يراجع فقط ما حكاه القرآن عن حرب أهل الكتاب للإسلام والمسلمين ، والذي يراجع التاريخ بعد ذلك يدرك مدى الإصرار العنيد منهم على الوقوف لهذا الدين وإرادة محوه من الوجود بكل الوسائل " [٢] .

فكيف يكون التقارب بين الإسلام وبين الأديان الأخرى في ظل ما سبق من حقائق ؟؟ .

(١) المصدر السابق ، ٢/ ٩١٥ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٣٧٨ - ١٣٧٩ بتصرف .

المطلب الثالث

موقفه من بعض الفرق والجماعات الإسلامية

ينسب بعضهم سيد قطب – رحمه الله – إلى بعض الفرق [١]، وكثيرًا ما كانت هذه النسبة بسبب عبارات موهمة أو قضايا جزئية ، أو بسبب إشادته ببعض المظاهر السليمة عند بعض الفرق، ففهم بعضهم أنه يزكي هذه الفرق أو أن منهجه هو منهجها .

ومن خلال بحثي لم أجد سيدًا ملتزمًا بمنهج إحدى الفرق المخالفة لمنهج أهل السُّنَّة في قضايا العقيدة ، حتى يمكننا تصنيفه عليها كما فعل البعض من خلال جزئيات وافق بها هذه الفرقة أو تلك .

بل وجدت في كتاباته الإسلامية نقدًا واضحًا لبعض الفرق التي اتهم أنه منها كالمعتزلة والصوفية وغيرها ، سواءً نقده لمناهجها أو لبعض الأخطاء والانحرافات الموجودة عندها ، وفيما يأتي عرضٌ لكلامه في بعض الفرق والجماعات الإسلامية وموقفه منها :

الفرع الأول :موقفه من المعتزلة:

سبق أن بيّنا موقف سيد قطب من علم الكلام والفلسفة ، ورفضه لمنهج المتكلمين والفلاسفة جملة في تقرير العقيدة ، ونقده لهذا المنهج وطريقة تعامله مع قضايا العقيدة .

ومن خلال استقراء كتب سيد قطب نجد أن حديثه انصب على الإنكار المجمل على الفرق الكلامية، سواءً في المنهج الذي اعتمدته أو في بعض القضايا التي ناقشتها كالتأويل ونفي الصفات وقضايا القدر ونحوها ، وكان ذلك على سبيل التعميم ، ما عدا تعرضه للمعتزلة في أكثر من موضع بالاسم والرد عليهم في بعض المسائل

---

(١) انظر : أضواء إسلامية على عقيدة يسد قطب ، د/ ربيع المدخلي ،ص١٣١ ،١٣٦ ،١٤٧ ،١٥١ ،١٧٤ ،١٨٠ ، والجماعات الإسلامية ، لسليم الهلالي.

ويمكن بيان ذلك في الآتي :

أولًا : التعريف بالمعتزلة :

المعتزلة إحدى الفرق التي نشأت في الصدر الأول وتأثرت بالمنهج الكلامي الفلسفي وخالفت منهج أهل السُّنَّة والجماعة في كثير من القضايا العقدية ، كنفي الصفات ، والقول بخلق القرآن ومسألة الصلاح والأصلح واللطف الإلهي ونفي القدر ، وكذا موقفهم من مرتكب الكبيرة والرؤية والشفاعة ، والخروج على الحكام وغيرها من القضايا ،واتخذت لنفسها منهجًا يقوم على خمسة أصول مشهورة هي :

١) **التوحيد :** يتضمن نفي الصفات خشية التشبيه والتجسيم وتعدد القدماء .

٢) **العدل :** ويقصد به أن الله لا يفعل القبيح ولا يريده ، وبالتالي فهو لا يخلق أفعال العباد ثم يعذب عليها .

٣) **الوعد والوعيد :** ويقصد به وجوب نفاذ الوعد والوعيد الإلهي وعدم إخلافه .

٤) **المنزلة من المنزلتين :** ويقصد به أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين الإيمان والكفر ، وأما في الآخرة فيوافقون الخوارج. في أنه مخلد في النار.

٥) **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :** ويقصد به الخروج على الحاكم حال ظلمه أو فسقه بأي وسيلة [١] .

وقد وافقت المعتزلة بعض الفرق الأخرى كالجهمية والخوارج في بعض القضايا والآراء العقدية [٢] .

ثانيًا: موقف سيد قطب من المعتزلة :

قبل الحديث عن موقف سيد من المعتزلة يجب التنبيه إلى قضية مهمة ، وهي أن البعض ينسب إلى سيد نفي الصفات والقول بمذهب المعتزلة والجهمية النفاة بناءً على بعض العبارات الموهمة في حديثه عن بعض الصفات الإلهية كما هو الحال عند حديثه عن الرؤية والقرآن وغيرها ، أو لاضطراب كلامه حول بعض الصفات

(١) ينظر في ذلك : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ،ص ٢٨ وما بعدها، والملل والنحل ، للشهرستاني ، ١/ ٤٥ ، ٥١

(٢) العقيدة بين السلف والمتكلمين ، أ .د : حسن محمد شبالة ، ص ١٦ وما بعدها .

كالاستواء وتفسيره على خلاف ما فسره السلف في بعض المواضع ، ويجعل من ذلك دليلًا على أن سيد ليس من السلف بل هو معتزلي جهمي [١] .

والواقع أنه من خلال استعراض كلام سيد لآيات الصفات وجدته يثبت الصفات على المعنى اللائق بها خلافًا للفرق الكلامية ، وما كان من كلام موهم في بعض الصفات فقد وجدت له كلامًا واضحًا في مكان آخر ، كما وجدت اعترافًا منه بأنه وقع في التأويل لبعض الأمور وتصريحه بتراجعه إجمالا عن منهج التأويل ونقده له، وأنه سوف يأتي على ما كان أوله إن مُدَّ له في العمر – وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله عند الحديث عن موقف سيد قطب من الأسماء والصفات في الباب الثالث – .

وعمومًا يمكننا القول : بأن سيد – رحمه الله – لم يكن في مسائل العقيدة ملتزمًا لمنهج المعتزلة ولا غيرهم من الفرق المخالفة لأهل السُّنَّة ، بل كان مخالفًا لهم في منهج الاستدلال كما سبق ، وكذا في كثير من المسائل العقدية التي خالفوا فيها أهل السُّنَّة والجماعة.

وبالتالي لا يمكننا القول بأن سيد قطب كان معتزليًا أو خارجيًا أو جهميًا في عقيدته لمجرد أنه وافق رأيه رأي أيَّ فرقة من هذه الفرق في مسألة من مسائل العقيدة ، بل نجده كثيرًا يدعو إلى تجاوز خلافات هذه الفرق والإقبال على أخذ العقيدة من مصدرها قبل نشوء الخلاف بين الفرق والمذاهب [٢] .

أما موقفه من المعتزلة فيمكن بيانه في الآتي :

١ – لم أجد فيما كتبه سيد – رحمه الله – أنه تبنى منهج المعتزلة في تقرير مسائل العقيدة، ولا أصولهم المعروفة ، وبالتالي لا يمكننا القول بأنه معتزلي .

٢– في كتاباته نقد كثير للمعتزلة في قضايا كثيرة خالفوا فيها منهج السلف ومن ذلك :

أ) **رفضه لمنهج علماء الكلام عمومًا في تقرير مسائل العقيدة** – كما سبق بيانه – في

(١) ينظر :كلام د/ ربيع المدخلي في : أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، ط٢ ، عام ١٤٢٢هـ ، ص ١٧٤-١٨١ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ،دار عمار – الأردن ط٢ عام ١٤٢١ هـ ص ٥٣ .

موقفه من علم الكلام والفلسفة .

ب) **نقده للمعتزلة** : خصوصًا في اعتمادهم على منهج علم الكلام وتأثرهم بالفلسفة الغربية في معالجة قضايا العقيدة وما نتج عن ذلك من نفيهم للصفات الإلهية .

يقول - رحمه الله " وكذلك تصبح البراهين- الذهنية التجريدية على وجود الله سبحانه وهي التي اتجه إليها علماء التوحيد - بتأثير منطق أرسطو - والتي تعتمد على المقولات العقلية وحدها بعيدة في منهجها وغريبة على المنهج الإسلامي وهذا المنهج القرآني،لأنها أضعف أنواع البرهان في هذا المجال ، وادعاها للجدل والمراء.

ولقد أبعد المعتزلة وهم ينفون الصفات عن الله - سبحانه - لئلا يتعدد القدماء، لأن هذه الصفات إن كانت قديمة كذات الله تعدد القدماء ! فهذا قياس ذهني بحت لا يتعامل مع الواقع ، ولا مع المنهج القرآني ، فالله - سبحانه - قد وصف نفسه بصفاته ، ومن هذه الصفات ما يقرر وحدانيته وأزليته وأبديته وإحاطته - سبحانه - بكل شيء ... إلى آخر أسمائه الحسنى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[1] . ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] .

إنما تابع المعتزلة منطق أرسطو الذهني ، وتجريدات " أفلوطين " المهَّومة ! ولم يتابعوا المنهج القرآني ، وهو المنهج الإسلامي الأصيل ، وكذلك فعلوا فيما عرف في تاريخ الفكر الإسلامي بعنوان " فتنة خلق القرآن" والبحث على هذا النحو بجملته غريب على المنهج الإسلامي " [3] .

---

(١) سورة الحديد ، الآيات ١-٣ .

(٢) سورة الحشر ، الآيات ٢٢- ٢٤ .

(٣) مقومات التصور الإسلامي -سيد قطب - ص ٢٧٨ ، بتصرف يسير .

ويقول : " إن لله سبحانه صفاته أو أسماءه الحسنى ، ولكن البشر لا يملكون إدراك " كيفية " هذه الصفات فهو سبحانه سميع يسمع ، بصير يرى ،عليم يعلم، ولكن البشر لا يدركون كيفية شيء من ذلك بالقياس إليه سبحانه ، فالله ليس كمثله شيء ، فلا يمكن أن يدرك البشر إذن كيفيات صفاته ، ولا كيفيات أفعاله ، وليس لهم أن يقيموا شيئاً من ذلك كله على ما يعرفونه من أنفسهم ، أو من سواهم في خلق الله "[1] .

ويتبين لنا من النص السابق أن سيدًا – رحمه الله – يثبت الصفات بمعانيها اللائقة بها ويخالف النفاة المؤولين ، وكلامه لا يحتاج إلى تعليق .

ج- مخالفته للمعتزلة في موقفهم من العقل : وقد مرَّ معنا عند الكلام عن مصادر التلقي الحديث عن دور العقل عند المعتزلة في قضايا العقيدة وأنه مقدم على الشرع ، ورأينا كيف أن سيدًا يخالفهم في ذلك ويقرر ما يقرره أهل السُّنَّة والجماعة من مسألة علاقة العقل بالنقل ودوره في الحياة[2] .

د- نقده لهم في مسألة العلاقة بين المشيئة الإلهية والمشيئة البشرية ، وكذا في أفعال العباد : حيث يرى أن للإنسان مشيئة وإرادة في حدود المشيئة الإلهية المطلقة ، وأن الله خالق الإنسان وأفعاله ، والإنسان كاسب لهذه الأفعال باختياره ، خلافًا لمذهب المعتزلة في ذلك وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله عند الكلام عن القدر.

هـ- نقده لهم في تأويل النصوص مع اعترافه بأنه وقع في بعض التأويل وتراجعه عنه :

حيث ينتقد الذين يرون أن الملائكة والشياطين إنما هما تعبيران عن قوى الخير والشر ، ولا يوجد خلق حقيقي لهما ، بأنهم إنما جاءوا بهذه التصورات من مقررات ذهنية سابقة أخذوها من غير القرآن ، ثم جاءوا ليحاكموا نصوص القرآن والحديث إليها ! واضطروا مع هذا لتأويل النصوص لتوائم هذه المقررات الذهنية.

وفي الهامش يعلق سيد – رحمه الله – على موقف المؤولين بقوله: " وما أبرئ نفسي أني فيما سبق من مؤلفاتي ، وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت إلى شيء من هذا ، وأرجو أن أتداركه في الطبعة التالية إذا وفق الله ، وما أقرره هنا هو

---

(١) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٧٩ ، وينظر أيضًا : في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤٨٦ ، ٥/ ٢٧٢٩ .

(٢) يراجع كلام سيد في المطلب الرابع من المبحث الأول من هذا الباب .

ما اعتقده الحق بهداية من الله "[١]

و- نقده للمعتزلة ولعموم المتكلمين في عدم جمعهم النصوص المتعلقة بالموضوعات التي ناقشوها حتى تتضح لهم الحقائق ،حيث كانت الفرق الكلامية عمومًا تتناول الآيات بطريقة تجزيئية فتأتي الأحكام قاصرة وخاطئة ، وضرب لذلك أمثلة بمسائل " القضاء والقدر " و " الجبر والاختيار " و " الإرادة والكسب " التي شغلت علماء الكلام عمومًا .

يقول - رحمه الله -: " ومن مراجعة النصوص - والتنسيق بين مدلولاتها جميعًا يخلص لنا طريق واحد بعيد عن ذلك الجدل الذي آثاره المتكلمون من الفرق الإسلامية ... فالفهم الصحيح للآيات لا يكون إلا بجمعها والنظر فيها مجتمعة، وعدم أخذها فرادى وفق الأهواء أو وضع بعضها في مواجهة بعض على سبيل الجدل كما فعلت الفرق والنحل[٢] .

ز- مخالفته للمعتزلة في كثير من القضايا العقدية ومن أبرزها :

١- قضية الرؤية .

٢- قضية الشفاعة .

٣- قضية وجوب إرسال الرسل على الله .

٤- قضية خلق القرآن .وغيرها مما سيأتي بيانه كل في موضعه.

الفرع الثاني :موقفه من التصوف والصوفية :

مرَّ معنا في الباب الأول أن ما كتبه سيد من مؤلفاته ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما كتبه قبل التزامه بالإسلام ، وهو يمثل في مجمله كتاباته الأدبية والنقدية ودواوينه الشعرية ، ويمثل جزء منه سجلًا معبرًا عن حالة ضياعه وانحرافه الفكري باعترافه هو، و في هذا القسم عدد من الأخطاء المنتقدة عليه .

والثاني : ما كتبه بعد التزام بالإسلام ، وهو على نوعين أيضًا :

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٣٠- ٣٧٣١ بتصرف .
(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤٠٠ ، بتصرف يسير .

أ – ما كان في بداية توجهه نحو الإسلام ، أي في مرحلة دراسته للإسلام دراسة أدبية ، وفيه أيضًا عدد من الأخطاء المنتقدة عليه .

ب– ما كتبه بعد التزامه بالإسلام وخاصة ما كان في آخر حياته ، وهو يمثل ما استقر عليه من آراء ، ونسبة الأخطاء فيه قليلة .

وقد أخذ البعض كتابات سيد المختلفة في مراحلها السابقة ، واستخرج منها أقوالًا استند إليها في نسبة سيد إلى التصوف والحلول والاتحاد .

ومن خلال إطلاعي على ما كتبه الناقدون لسيد في هذا الباب وجدت أنهم اعتمدوا في حكمهم عليه بالتصوف على ما يأتي :

١- إما عبارات وأقوال وأبيات شعرية قالها في فترة ما قبل التزامه بالإسلام ، وخاصة في دواوين ضياعه وقصصه الأدبية .

٢- وإما عبارات موهمة حَلَّق فيها سيد بأسلوبه الأدبي بعيدًا ، جعلت من يقرأها دون أن يضم إليها صريح عباراته في هذا الباب يرى أنها هي عبارات أهل الحلول والاتحاد والتصوف .

٣- وإما استشهاد أو إشادة منه ببعض أقوال المتصوفة التي يرى أنها صحيحة في بابها كاستشهاده بأبيات رابعة العدوية[1] في حقيقة الحب ونحوها .

وبناءً على ما سبق يمكننا بيان موقف سيد من التصوف فيما يأتي :

أ- تفريقه بين التصوف الصادق (الزهد) وبين التصوف المنحرف :

يفهم من كلام سيد أنه يفرق بين التصوف المنحرف وبين الزهد الذي كان عليه الرعيل الأول و الذي يسميه البعض بالتصوف الصادق، حيث يقول سيد مستشهدًا على حقيقة الحب الصادق بين العبد وربه:" وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها إلا من ذاقها.. وهو أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره، إلا فلتات قليلة من كلام المحبين، وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية ،أم الخير مولاة آل عتيك البصرية ،لها أخبار في العبادة والنسك ،توفيت بالقدس سُنَّة ١٣٥هـانظر: وفيات الأعيان لأبي ..... ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ،عام ١٤١٩هـ ،٢/ ٢٣٨ ، الأعلام ٣/ ١٠ .

التصوف الصادقين- وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل-" [١]

ويطلق لفظ العابد الصوفي على الفضيل بن عياض [٢] الزاهد فيقول : " وقد روي عن الفضيل العابد الصوفي أنه كان إذا قرأ هذه الآية ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [٣] بكى وقال : اللهم لا تبلنا ، فإنك إن بلوتنا فضحتنا ، وهتكت أستارنا وعذبتنا " [٤].

ب- نقده لعدد من معتقدات الصوفية وبدعها :

حيث أشار سيد إلى عددٍ منها في مواطن مختلفة من كتبه منكرًا عليهم فيها، ومن هذه البدع والشركيات التي تعرض لها ما يأتي :

١ - الاعتقاد بالخرافات وتقديس المقامات وتقديم القرابين والنذور للأولياء والمزارات :

يعتبر سيد " أن الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة " [٥]، "وإننا لنشهد اليوم - بعد أربعة عشر قرنًا من نزول هذا القرآن بهذا البيان - (أي بيان أوهام الجاهليين في التقرب لغير الله وتقديس الأوثان) - أنه حيثما أنفك رباط القلب البشري بالإله الواحد ، تاه في منحنيات ودروب لا عداد لها ، وخضع لربوبيات شتى، وفقد حريته وكرامته ومقاومته .. ولقد شهدت في هذا الجانب الخرافي وحده في صعيد مصر وريفها عشرات من الأوهام تطلق لها بعض صنوف الحيوان ، للأولياء والقديسين في ذات الصورة التي كانت تطلق بها للآلهة في الزمان القديم! " [٦].

*وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾[٧]

---

(١) في ظلال القرآن، ٢/ ٩١٨ ، بتصرف يسير .

(٢) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي - الخرساني ، أبو علي ، ولد بسمرقند وارتحل في طلب العلم ، كان يقطع الطريق ثم تاب وجاور في الحرم ، وكان عابدًا فاضلًا ورعًا . توفي سُنَّة ١٨٧هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١ وشذرات الذهب ١/ ٣٦١ .

(٣) سورة محمد ، آية ٣١ .

(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٩ .

(٥) المصدر السابق ، ١/ ٩٥ .

(٦) في ظلال القرآن ، ٢/ ٩٩٠ .

(٧) سورة النحل ، الآية ٥٦ .

يستعرض سيد أوهام المشركين في الجاهلية في تقربهم لغير الله ثم يقول : " وهكذا تبدو المفارقة في تصورهم وفي تصرفهم على السواء ، الرزق كله من الله ، والله يأمر إلا يُعبد سواه، فهم يخالفون عن أمره ، فيتخذون الآلهة وهم يأخذون من رزقه فيجعلونه لما نهاهم عنه ! وبهذا تتبدى المفارقة واضحة جاهرة عجيبة مستنكرة ! وما يزال أناس بعد أن جاءت عقيدة التوحيد وتقررت ، يجعلون نصيبًا من رزق الله لهم موقوفًا على ما يشبه آلهة الجاهلية ، ما يزال بعضهم يطلق عجلًا يسميه " عجل السيد البدوي " يأكل من حيث يشاء لا يمنعه أحد ، ولا ينتفع به أحد ، حتى يذبح على اسم " السيد البدوي " لا على اسم الله ! وما يزال بعضهم ينذرون للأولياء ذبائح يخرجونها من ذمتهم لا لله ، ولا باسم الله ، ولكن باسم ذلك الولي ، على ما كان أهل الجاهلية يجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقهم الله ، وهو حرامٌ نذره على هذا الوجه ، حرامٌ لحمه ، ولو سمي اسم الله عليه لأنه أُهِّل لغير الله به !" .[1]

* وفي ظلال قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[2]، يستعرض -سيد -حالة المشركين في عبادتهم ، والتي كانت صفيرًا بالأفواه وتصفيقاً بالأيدي ، وهرجًا ومرجًا لا وقار فيه ، ولا استشعار لحرمة البيت، ولا خشوع لهيبة الله ، ويذكر أثر ابن عمر- رضي الله عنهما -[3] " إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون ثم يقول : " وإن هذا ليخطر بالبال صور العازفين المصفقين الصاخبين المرغين خدودهم على الأعتاب والمقامات اليوم في كثير من البلاد التي يسمونها " بلاد المسلمين " ![4].

* كما يرى سيد - رحمه الله - أن بعثة محمدﷺ كانت مهمتها تحطيم الطواغيت وعلى رأسها طاغوت الشرك بالله في عالم العقيـدة ، وهو طاغوت ضخم عميق الجذور في مسارب الشعور الإنساني، وما تزال البشرية تعاني منه بعد كل رسالات التوحيد السماوية وبعد كل كفاح الرسل وكلما انحرفت الجماهير عن الإدراك الصحيح لدين الله التقت بطاغوت الشرك في صوره الكثيرة، وما التمسح بأعتاب

(١) في ظلال القرآن : ٤/ ٢١٧٧ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٣٥ .
(٣) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، هاجر قبل أبيه ، وأول مشاهده الخندق ، كان من المكثرين من الرواية ، وكان يقتدي به في كل أمره ، توفي سَنَة ٧٤ هـ انظر : أسد الغابة ٣/ ٢٢٧ ، والأعلام ٤/ ١٨٠ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٥٠٦ .

الأولياء والقديسين في صورته التي يزاولها العوام،إلا صورة من صور ذلك الطاغوت، تتـزيا بزي الدين ودين الله كله منها براء ! [١].

٢- انحرافهم في مفهوم الولاية :

يقول سيد مبينًا حقيقة الأولياء : " وأولياء الله الذين يتحدث عنهم القرآن هم المؤمنون حق الإيمان ، المتقون حق التقوى، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، والعمل هو تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، هكذا يجب أن نفهم معنى الولاية لله ، لا كما يفهم العوام من أنهم المهبولون المخبولون الذين يدعونهم بالأولياء ! " [٢].

٣- طريقة الذكر الصوفي والموالد :

ينتقد سيد طريقة الطرق الصوفية في الذكر ، ويبين أن الذكر المأمور به " ليس الذكر بالشفة واللسان فقط ، ولكن بالقلب والجنان ، الذكر الذي يخفق به القلب، فلا يسلك صاحبه طريقًا يخجل أن يطلع عليه الله فيه ، ولا يأتي صغيره أو كبيرة إلا وحساب الله فيها ، فهذا هو الذكر المأمور به ، وإلا فما هو ذكرٌ لله إذا كان لا يؤدي إلى الطاعة والعمل والسلوك والإتباع "[٣]، " وقد وجه الله عباده المؤمنين إلى طريقة الدعاء بقوله ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٤]، فهو توجيه إلى أنسب حالة نفسية صالحة ، إلى الدعاء والإنابة تضرعًا وتذللاً ، وخفية لا صياحًا وتصدية ! فالتضرع الخفي أنسب وأليق بجلال الله وبقرب الصلة بين العبد ومولاه، وفي الحديث أن النبي ﷺ كان مع أصحابه في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال رسول الله ﷺ : " أيها الناس أربعوا (أي أرفقوا وهونوا) على أنفسكم ، إنكم لستم تدعون أصمَّ ولا غائبًا ، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم " [٥].

---

(١) دراسات إسلامية -سيد قطب - ، ص ١٢ ، بتصرف يسير .

(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٨٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ٣/ ١٤٢٧ بتصرف يسير .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٥٥.

(٥) رواه البخاري في الجهاد ، باب ما يكره في رفع الصوت ٣/ ١٠٩١ برقم ٢٨٣٠ ، ومسلم في الذكر ٤/ ١٦٤٩ برقم ٢٧٠٤ .

فهذا الحس الإيماني بجلال الله وقربه معًا هو الذي يؤكده المنهج القرآني هنا ... ذلك أن الذي يستشعر جلاله - سبحانه - فعلًا يستحيي من الصياح في دعائه ، والذي يستشعر قرب الله حقًا لا يجد ما يدعوا إلى هذا الصياح " [١].

" فذكر اسم الله ليس هو مجرد ترديد هذا الاسم الكريم باللسان ،على عدة المسبحة المئوية أو الألفية ! إنما هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذاكر" [٢].

كما يُعَرِّض سيد بطريقة الذكر الصوفي بقوله : " والإسلام الذي يقي من الشيوعية ليس هو الأوراد والتسابيح والتراتيل ، وليس هو الطقطقة بالمسابح والإنشاد في الأذكار، وليس هو صواريخ المولد ولا زفة المحمل، كلا ليس هذا الإسلام، وإن كان الاستعمار قد استخدم هذا النوع من الإسلام أعوامًا طويلة في هذا الشرق على أيدي عملائه من مشايخ الطرق المعروفين " [٣].

٤- دعاء غير الله واتخاذ الواسطة :

القلوب في حالة الضيق تتوجه إلى الله تعالى لأنها تشعر بالفطرة أن لا عاصم لها سواه ، وفي الفرج تتلهى بالنعمة والمتاع فتضعف صلتها بالله ، وتزيغ عنه ألوانًا من الزيغ تبدو في الشرك به، وتبدو كذلك في صور شتى من تأليه قيم وأوضاع ولو لم تدع باسم الإله! .

ولقد يشتد انحراف الفطرة وفسادها ، فإذا بعضهم في ساعة العسرة لا يلجأ إلى الله ، ولكن يلجأ إلى بعض مخاليقه يدعوها للنصرة والإنقاذ والنجاة ، بحجة أنها ذات جاه أو منزلة عند الله ، أو بغير هذه الحجة في بعض الأحيان ، كالذين يدعون الأولياء لإنقاذهم من مرض أو شدة أو كرب فهؤلاء أشد انحرافًا من مشركي الجاهلية الذين رسم القرآن نموذجهم " [٤].

" فالإسلام في نصاعته ووضوحه ينفي الوساطة بين الله وعباده حتى عن رسول الله ﷺ ، فالرسول لا يملك من أمر الناس شيئًا ، ومهمته البلاغ وليس له من مطمع

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٢٩٨ ، بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٤٦ .
(٣) معركتنا مع اليهود - سيد قطب - ، ص ٣٩، ٤٠ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢١٧٧.

في أجر أو عَرَض من أعراض الدنيا يناله ممن يهتدون إلى الإسلام ، وليس هناك إتاوة ولا نذر ولا قربان يقدمه المسلم عند دخوله..ليس في الإسلام كاهن يتقاضى ثمن كهانته ، ولا وسيط يقبض ثمن وساطته، ليس هناك " رسم دخول " ولا "ثمن لتناول سر ولا بركة ولا استقبال ! " هذه هي بساطة هذا الدين وبراءته مما يحول بين القلب و الإيمان، ومن كل ما يقف بين العبد وربه من وسطاء وكهان " [١].

٥- السلبية في الحياة :

جاء الإسلام بمنهج عظيم في إصلاح النفوس البشرية وعمارة الحياة دون إفراط ولا تفريط ، لكن الناظر في أحوال أصحاب الطرق الصوفية يجد أنهم لم يلتزموا منهج القرآن في التعامل مع الدنيا ، بل ابتدعوا طرقًا ومناهج سلوكية لتربية النفوس - بزعمهم - كان من نتائجها السلبية في حياة الفرد والمجتمع بدعوى الزهد في الدنيا .

* وقد تكلم سيد - رحمه الله - كثيرًا عن منهج القرآن في التعامل مع الحياة، وعن التصور الذي أنشأه الإسلام حول الدنيا وموقف المسلم منها ، وهو: "تصور لا إهمال فيه للحياة الدنيا ولا سلبية فيه ولا انعزال ، وما وقع من إهمال وسلبية وانعزال وخاصة في بعض حركات " التصوف " والزهد ليس نابعًا من التصور الإسلامي أصلًا ، إنما هو عدوى من التصورات الكنيسة الرهبانية ، ومن التصورات الفارسية ، ومن بعض التصورات الإشراقية الإغريقية المعروفة بعد انتقالها للمجتمع الإسلامي .

فالنماذج الكبيرة التي تمثل التصور الإسلامي في أكمل صورة ، لم تكن سلبية ولا انعزالية فهذا جيل الصحابة كله ، الذين قهروا الشيطان في نفوسهم ، كما قهروه في الأنظمة الجاهلية السائدة من حولهم في الأرض .. كان يدرك قيمة الحياة الدنيا كما هي في ميزان الله ، وهو الذي عمل للآخرة بتلك الآثار الإيجابية الضخمة من واقع الحياة ، وهو الذي زاول الحياة بحيوية ضخمة ، وطاقة فائقة ، في كل جانب من جوانبها الحية الكثيرة [٢].

---

(١) المصدر السابق ، ٥/ ٢٥٧٤ ، ٢٦٢٠ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ، ٢/ ١٠٧٢ .

" فالإسلام عدو التبطل باسم العبادة والتدين ، ...وتمضية الوقت في التراتيل والدعوات بلا عمل منتج ينمي الحياة أمر لا يعرفه الإسلام ، ولا يُقرُّ عليه تلك الألوف المؤلفة في مَصر الّتي لا عمل لها إلا إقامة الصلوات في المساجد أو تلاوة الأدعية والأذكار في الموالد "(١) .

" ولن يتحقق الإسلام بمجرد أن يذهب الناس إلى المساجد ويحتفلوا بالمولد النبوي الشريف ، ويلقوا الخطب في مدح سيد المرسلين ! ولا بأن تعج الأرض بالمجاذيب والدراويش ، يتلون الأدعية ، ويقيمون الأذكار ، ويحملون المسابح ويُتَمتِمون أو يهدرون ! .. إنما يتحقق بأن يحكم الإسلام الحياة ويصرفها في كل جوانبها "(٢).

" والإسلام يطارد الدجالين، الذين يجمعون حوله التراهات والخرافات ، لأنه عقيدة بسيطة واضحة لا تعتمد على المعجزات والكرامات والشفاعات والدعوات ... إنما تعتمد على العقيـدة المستقيمة ، والسلوك النظيف والعمل الصالح ، والجد والإنتاج ، ولو حكم الإسلام فسيكون أول عمل له أن يطارد المتبطلين الذين لا يعملون شيئًا ويعيشون باسم الدين ، والدجالين الذين يُلبِّسون وضوح الإسلام بغموض الأساطير ، ويستغفلون باسمه عقول الجماهير ، والدراويش الذين لا يعرف لهم الإسلام مكانًا في ساحته ولا عملًا في دولته ، وهم في مصر كثيرٌ جد كثير. "(٣).

٦- بناء المساجد على القبور :

يرى سيد أن بناء المساجد على القبور هو من طريقة اليهود والنصارى في اتخاذ المعابد على مقابر الأنبياء والقديسين ، وما يصنعه من يصنعه من المسلمين اليوم إنما هو تقليد لهم ،ومخالفة لهدي النبيﷺ الذي يثبت عنه أنه قال : **" لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد "(٤).** "(٥).

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية- سيد قطب – ص ٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٩- ٦٠ بتصرف .
(٣) معركة الإسلام والرأسمالية ، ص ١٠٥-١٠٦ ، وينظر ذلك ص ٧٤- ٧٥ .
(٤) رواه :البخاري في كتاب المساجد باب الصلاة في البيعة ١/ ١٦٨ برقم ٤٢٥ ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١ / ٣١٥ برقم ٥٢٩ واللفظ له ، والنسائي ٢/ ٤٠-٤١ ، وأحمد ٦/ ٨٠
(٥) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٢٦٤ .

٧- التصوف والاستعمار :

يرى سيد أن الإسلام بالمفهوم المنحرف الذي عليه بعض الطرق الصوفية والمتمثل في الأوراد والتسابيح والتراتيل، والطقطقة بالمسابح والإنشاد في الأذكار، وصواريخ المولد وزفة المحمل ،وغيرها ، لا يقي من الاستعمار الشيوعي وغيره، بل إن الإسلام بهذا المفهوم قد استخدمه الاستعمار وحماه في الشرق الإسلامي أعوامًا طويلة ، على يد عملائه من مشايخ الطرق المعروفين [١].

ويقرر أن هناك تعاونًا بين المستغلين من رجال الإقطاع ومشايخ الطرق، وبين الاستعمار،فيقول : " إن العهود الإقطاعية هي التي ترزق المشايخ المتبطلين، والدراويش المهبولين ، وتخلع عليهم وتعترف بوجودهم ، لأن هذه كلها أجهزة لتخدير الجماهير عما هي فيه من حرمانٍ وشقاء " [٢].

" وقد ساعد الاستعمار على تشويه الفكرة الإسلامية كلها ،من خلال أولئك الذين اصطلح الناس على أن يسموهم رجال دين من الأشياخ والدراويش ، بينما هم يمثلون جمود الفكر ، وضيق الأفق ، أو يمثلون الخرافة والجهالة ، ثم يصبغون ذلك كله بصبغة الدين فيظهرونه بشعًا شائهًا منفرًا " [٣].

ويرى سيد أيضاً أن المستغلين والطغاة لا يستطيعون مواجهة الأمة بعدائهم للإسلام وعقيدته، وبالتالي فهم يعمدون إلى الخرافات والطرق لتخدير الشعوب ويكون الإسلام ستارًا وهميًا، وعندئذ لا ضير على الطغاة من الإسلام حين يكون تمتمة بالشفاه ، وطقطقة بحبات المسابح ، أو أدعية وتراتيل ، أو محملًا يطاف به سبعًا، ويسلم مقود الجمل الذي يحمله رسميًا ، أو مولدًا تطلق فيه " السواريخ" أو مشيخة طرق ، أو نقابة أشراف تخلع فيها الخلع وتمنح فيها الألقاب .. إلى آخر أجهزة التخدير التي يستغلها الطغاة والمستغلون ليلهوا بها الجماهير عن دينها الحق .. وحينئذ يخلو الاستعمار إلى الاستغلال ، ويخلو الاستغلال إلى الاستعمار وتتلاقى مصلحتهما المشتركة في دفع خطر الإسلام الحق، الذي لو اندفع لأغرق هؤلاء

(١) معركتنا مع اليهود - سيد قطب - ، ص٣٩- ٤٠ .
(٢) معركة الإسلام والرأسمالية - سيد قطب - ص ٧٥ .
(٣) معركة الإسلام والرأسمالية ، ص ١٠٠ .

وهؤلاء "[١].

هذا ما وجدته من كلام سيد -رحمه الله - حول المتصوفة وعقائدهم، وأما ما أُتهم به من القول بوحدة الوجود - فسيأتي الكلام عنه مفصلًا إن شاء الله - .

الفرع الثالث : موقفه من مدرسة الإمام محمد عبده " العصرانية " :

قامت مدرسة الإمام محمد عبده وتلاميذه في مصر على منهج متأثر بفلسفة ديكارت الغربية التي تعطي العقل أكثر من مجال في مسائل العقيدة وبالتالي اضطرت إلى تأويل كثير من الغيبيات والنصوص .

ويمكن بيان موقف سيد قطب- رحمه الله - من هذه المدرسة في النقاط الآتية :

أولًا : بيان سيد لمنهجها ودوافعها :

بين سيد الدوافع التي كانت وراء نزعات هذه المدرسة فيما يأتي :

أ - البيئة الفكرية الجامدة التي عاصرها الإمام محمد عبده ، والتي أغلقت باب الاجتهاد ، وأنكرت على " العقل " دوره في فهم شريعة الله ، واستنباط الأحكام منها، واكتفت بالكتب التي ألفها المتأخرون في عصور الجمود العقلي .

ب - النزعة الخرافية الشائعة التي سيطرت على العقلية العامة في تلك الفترة وصبغت كتاباتها .

ت - كثرة الأساطير والإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية .

ث- وصول الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها، وخاصة بعد الفتوحات العلمية التي حصل فيها العلم على انتصارات عظيمة، وكذلك سيادة الفلسفة التي تؤله العقل وبخاصة فلسفة ديكارت .

ج- هجوم المستشرقين على التصور الإسلامي وعقيدة القضاء والقدر فيه ، واتهامه بتعطيل العقل البشري والجهد البشري عن الإيجابية في الحياة بسبب هذه العقيدة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٤ بتصرف .

ح - انتشار موجة الإلحاد ، ووصول موجة الشك في مقولات الدين إلى قمتها ، حيث حاولت هذه المدرسة أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل [١] .

ويقول : " ومن ثم اجتهدت هذه المدرسة في تنقية الدين من الخرافات والأساطير، وحاولت أن تنشئ عقلية دينية تفقه السنن الكونية ، وتدرك ثباتها واطرادها وترد إليها الحركات الإنسانية ، كما ترد إليها الحركات الكونية في الإجرام والأجسام " [٢] .

" ولكن مواجهة ضغط الخرافة من جهة ، وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى ، تركت آثارها في تلك المدرسة ، من المبالغة في الاحتياط ، والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسُنَّة الله ، فشاع في تفسير الإمام محمد عبده وتلاميذه الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق إلى مألوف سُنَّة الله دون الخارق منها ، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه " المعقول " ، وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات .

ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة لمثل هذا الاتجاه ، فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه ، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل ، وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التي اختارها، سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف [٣].

والملاحظ في كلام سيد في النص السابق : أنه كان دقيقًا في النقد ، مهذبًا في الأسلوب، منصفًا في العرض ، فقد هدم منهجها بقوله : وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل ...مع وصفها بالمبالغة ، لكنه ساقه بأسلوب الداعية ، الذي يدغدغ عواطف الجماهير للتأثير فيهم وإصلاحهم ، بدلًا من التشهير والهدم غير النافع في الدعوة .وسيأتي أيضًا إنصافه مع هذه المدرسة بعد نقده لبعض أخطائها .

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٧٨ ، ٣/ ١٥٨٨ ، وخصائص التصور الإسلامي - لسيد قطب - ، ص ١٨ ، ١٩ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ، ٦/ ١٩٧٨ .

(٣) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٧٨ .

ثانيًا : نقده لبعض أخطاء هذه المدرسة : ومنها :

أ - مغالاتها في العقل وجعله ندًا للوحي :

ويرجع سيد قطب هذا الانحراف في فكر المدرسة العقلية إلى عدة أسباب هي:

١ - تأثرها بالفلسفة الغربية وخاصة فلسفة ديكارت التي تغالي في العقل [١] .

٢ - رغبتها في مواجهة البيئة الجامدة ، من خلال إثبات قيمة " العقل " تجاه "النص" وإحياء فكرة " الاجتهاد " ومحاربة الخرافة والجهل والعامية في " الفكر الإسلامي " .

٣ - الرد على هجوم الغربيين على الإسلام وعقيدته.

فلما أرادوا مواجهة الجمود العقلي في الشرق ، والفتنة بالعقل في الغرب جعلوا " العقل البشري ندًا للوحي" في هداية الإنسان ، ولم يقفوا به عند أن يكون جهازًا من أجهزة الكائن البشري يتلقى الوحي ، ويدرك ما يدركه ويسلم بما هو فوق إدراكه ، بما أنه غير كلي ولا مطلق ، ومحدود بحدود الزمان والمكان ، بينما الوحي يتناول حقائق مطلقه وليس على العقل إلا التسليم بها لأنه لا سبيل له إلى إدراكها"[٢] ، " والمغالاة في العقل عند هذه المدرسة جعلتها تضيق نطاق الخوارق والغيبيات ، وتُأول النصوص لتوائم ما يسمونه " معقولًا " كما سيأتي [٣]:

ب -تأويل الغيبيات ورد الخوارق:

" وهذا الخطأ هو نتيجة للخطأ السابق المتمثل في تعظيم دور العقل وجعله ندًا للوحي وحاكمًا على النص، وسببه المبالغة في الاحتياط من الخرافة ، والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هي القاعدة الكلية لسُنَّة الله ، لهذا شاع في كتابات رواد هذه المدرسة رد الكثير من الخوارق إلى مألوف سُنَّة الله دون الخارق منها ، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه " المعقول " وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات " [٤] ، حتى صرح بعضهم بوجوب تأويل النص ليوافق مفهوم

(١) المصدر السابق ، ٣/ ١٥٨٨ هامش ١ .
(٢) خصائص التصور الإسلامي ، ص ١٩ بتصرف يسير ، ويراجع فصل الربانية أيضًا من نفس الكتاب .
(٣) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٧٨ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٧٨.

العقل [١]، وهو مبدأ خطر، فإطلاق كلمة " العقل " يرد الأمر إلى شيء غير واقعي ! فهناك عقلي وعقلك وعقل فلان وعقل علان، وليس هناك "عقل مطلق" لا يتناوبه النقص والهوى والشهوة والجهل ، يحاكم النص القرآني إلى " مقرراته "، وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى فوضى! ،وقد نشأ هذا كله من الاستغراق في مواجهة انحراف معين ، ولو أخذ الأمر في ذاته لعُرف للعقل مكانه ومجال عمله بدون غلو ولا إفراط ، وبدون تقصير ولا تفريط كذلك ، وعُرف للوحي مجاله ، وحفظت النسبة بينهما في مكانها الصحيح " [٢] .

ومن القضايا التي أولتها هذه المدرسة ورد عليها سيد فيها ما يأتي :

١ ـ تأويلهم لعالم الملائكة والشياطين :

" حيث يرون أن الملائكة والشياطين أو الجن لا يمكن أن يكون لهم وجود مجسم على هذا النحو أو أن تكون لها تحركات حسية وتأثيرات واقعية ! ومن ثم يرون أن الملائكة تمثيل لقوة الخير والطاعة والشياطين تمثيل لقوة الشر والمعصية ، والرجوم تمثيل للحفظ والصيانة ..الخ " [٣].

* وفي ظلال قوله تعالى :﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[٤] ، تعرض سيد لمنهج المدرسة العقلية بالنقد وذلك لتأويلهم للغيبيات بقوله: " في هذا الحادث يثبت النص القرآني أن الشيطان زين للمشركين أعمالهم وشجعهم على الخروج .. ثم خذلهم وتركهم يلاقون مصيرهم وحدهم ، لكننا لا نعلم الكيفية التي زين لهم بها أعمالهم ، والتي قال لهم بها : لا غالب لكم اليوم والتي نكص بها كذلك، الكيفية فقط هي التي لا نجزم بها ، ذلك لأن أمر الشيطان كله غيب ، ولا سبيل لنا إلى الجزم بشيء في أمره إلا في حدود النص المسلم ، والنص هنا لا يذكر الكيفية إنما يثبت الحادث .

فإلى هنا ينتهي اجتهادنا ، ولا نميل إلى المنهج الذي تتخذه مدرسة الشيخ محمد

---

(١) هو الشيخ / عبد القادر المغربي ، كما صرح بذلك سيد ، في: خصائص التصور الإسلامي ، ص٢٠.
(٢) خصائص التصور الإسلامي ، ص ٢٠ ،بتصرف يسير .
(٣) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٣٠ .
(٤) سورة الأنفال ، الآية ٤٨

عبده في التفسير من محاولة تأويل كل أمر غيبي من هذا القبيل تأويلًا معينًا ينفي الحركة الحسية عن هذه العوالم ... . ثم ذكر سيد كلام الشيخ محمد عبده وميله إلى تفسير أفعال الملائكة والشياطين بأنها مجرد ملابسة أرواح المؤمنين أو المشركين ، وقال :" وكل هذا مبالغة في تأويل هذه النصوص المتعلقة بأمور غيبية ، ولا ضرورة لهذا التأويل ، لأنه ليس هناك ما يمنع من الدلالة الصريحة للألفاظ فيها " (١) .

٢ـ تأويلهم للطير الأبابيل :

ذكر سيد – رحمه الله – أنهم يفسرون الطير الأبابيل التي أرسلها الله على أصحاب الفيل بأنها ميكروبات الجدري ، وأن الطير قد تكون هي الذباب والبعوض التي تحمل الميكروبات ، فالطير هو كل ما يطير ، وتصريحهم بأن هذا التفسير هو ما يصح الاعتماد عليه ، وما عداه لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته .

ثم ردّ عليهم سيد بأن هذا التفسير نابع من منهجهم في تضييق نطاق الخوارق والغيبيات وأن سنت الله ليست فقط هي ما يعرفه البشر وما عرفوه، وبالتالي لا يصح الوقوف أمام هذه الخارق مترددين، أو مؤولين لها – متى صحت الرواية –" (٢) .

٣ـحصرهم للجهاد بالدفاع ،وقولهم بأن الأصل في التعامل مع الكفار هو السلم :

صدرت كتابات كثيرة للمستشرقين وغيرهم من الصليبين والصهيونيين تتهم الإسلام بأنه دين العنف وأنه انتشر بحد السيف ، ورغبة في الدفاع عن الإسلام قام بعض المفكرين في حماسة للدفاع عنه، لكنهم اسقطوا قيمة " الجهاد " وهم يدفعون عنه هذا الاتهام ، معتذرين بأن الجهاد في الإسلام إنما هو " الدفاع " فقط ، وأن الإسلام قام على الإقناع والحجة ، وأن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين هي المعاهدات السلمية ما لم يقع اعتداء على المسلمين في دارهم .

وقد أنكر سيد –رحمه الله – هذا القول وقرر أن الجهاد في الإسلام على نوعين :

الأول: جهاد الرد في حالة هجوم الأعداء على بلاد المسلمين .

---

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٥٣١-١٥٣٢ بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٧٦ – ٣٩٧٨ .

الثاني : جهاد الطلب، وهو باقٍ إلى قيام الساعة، والهدف منه ليس إكراه الناس على اعتناق الإسلام بالسيف، وإنّما إزاحة الطواغيت التي تستعبد البشر من دون الله، وتحول بينهم وبين معرفة الإسلام وفهمه، ثم بعد ذلك يترك لهم حرية الدخول في الإسلام، أو البقاء على مللهم في ظل عدل الإسلام ورايته .

وبيَّن – رحمه الله – أن هناك حقيقة واضحة يلمسها حتى أصحاب هذا القول وهي : عدم إمكانية التعايش بين الإسلام والأديان الأخرى بناء على المعاهدات السلمية إلا في فترات موقوتة لا تمثل قاعدة دائمة ، وأن الأصل هو العداء والصراع بناءً على عدم إمكانية التعايش الدائم بين المعسكرين، بسبب الاختلاف الجذري بين طبيعة المنهج الإسلامي ومناهج العبيد في الأرض ، وعدم التقائهما على شيء ، وهذا هو السر وراء نقض العهود والاعتداء من أعداء الإسلام عليه" [1] .

٤ـ الإعجاب بالغربيين ومناهجهم ووصفهم بالأحرار :

يقول سيد : " يجب أن ينتبه إلى دلالة مثل هذه العبارات (الأحرار) في مدرسة الشيخ محمد عبده وتلاميذها ، فقد كانت هذه المدرسة بجملتها متأثرة بمناهج تفكير وبأفكار غربية غريبة على منهج التفكير الإسلامي الخالص ، وكان هذا التأثر يجعلها تنظر إلى كُتَّاب أوروبا المناهضين للكنيسة بوصفهم أحرارًا ، وكذلك الكُتَّاب الذين يكتبون عن الديمقراطية والحرية الغربية والأوضاع الأوربية نظرة استحسان، وكانت تدعو إلى الأخذ بما تسميه "الصالح من هذه الأفكار والأوضاع" بناءً على ذلك التأثر،وهذا مزلق خطير، كان يعطف عليه " لورد كرومر" وأمثاله من الصليبيين ! والأمر في حاجة إلى نظرة أعمق وأوسع ، وإلى استقلال ، واستغناء بالمنهج الإسلامي " [2] .

٥ـ انتفاع الكافر بالحسنات يوم القيامة :

يرى الشيخ محمد عبده أن قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(١) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ، ٣/ ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، وخصائص التصور الإسلامي ، ص ١٨ ، والسلام العالمي والإسلام ، ص ١٦٩ ، وما بعدها ، ومعالم في الطريق ، ص ٦٦ – ٩٠ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٦٣٧ .

يَـرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾(١) .

عام في المسلم والكافر، وينكر على من نقل الإجماع بأن الكافر لا تنفعه في الآخرة حسَنَة ولا يخفف عنه عذاب سيئة ما، وأنه لا أصل له .

وقد عقب عليه سيد – رحمه الله – بأن المسألة لم تجيء من إجماع، ولكنها من نصوص قرآنية صريحة، هي أصل بذاتها على عدم انتفاع الإنسان بعمل بدون إيمان، مهما كان صالحا " (٢) .

إنصافه مع مدرسة محمد عبده :

مع هذا النقد الذي سبق من سيد لما عند أصحاب هذه المدرسة نجده يشيد بما عندهم من صواب فيقول : " ولست ابتغي أن أنقص من قدر تلك الجهود العظمية المثمرة في إحياء الفكر الإسلامي وإنهاضه التي بذلها الأستاذ الإمام وتلاميذه ،.. وإنما أريد فقط التنبيه إلى أن دفعة الحماسة لمقاومة انحراف معين قد تنشئ هي انحرافًا آخر وأن الأولى في منهج البحث الإسلامي هو عرض حقائق التصور الإسلامي في تكاملها الشامل، وفي تناسقها الهادي ،ووفق طبيعتها الخاصة وأسلوبها الخاص"(٣).

موافقته لبعض آراء المدرسة العقلانية :

بالرغم من موقف سيد قطب – رحمه الله – الرافض لمنهج المدرسة الإمام محمد عبده في التعامل مع النصوص إلا أنه قال ببعض الآراء الموافقة لما عند هذه المدرسة ومن ذلك :

١ – قوله بعدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة، وقد سبق الكلام عنه في مصادر التشريع .

٢– إنكاره لمسألة سحر النبيﷺ، مبررًا ذلك بنفس المبررات التي ذكرها الشيخ محمد عبده في المسألة (٤) .

---

(١) سورة الزلزلة، آية ٧.

(٢) في ظلال القرآن، ٦/ ٣٩٦٧ بتصرف يسير .

(٣) خصائص التصور الإسلامي – سيد قطب –، ص ٢١، ٢٢ .

(٤) ينظر : مبحث مصادر التشريع في هذا الباب .

٣- تأويله لبعض النصوص، وقد اعترف هو بذلك، وأخبر عن تراجعه عنها في الجملة وعزمه على تصحيحها إن مُدَّ في عمره [١] .

موقفه من المفكر الإسلامي محمد إقبال :

كان لإقبال - رحمه الله - جهود في مواجهة بعض الانحرافات في الفكر الإسلامي في البيئة الشرقية ، حيث كتب عدة بحوث في الرد عليها .

وقد تحدث سيد عن جهود" إقبال" ونبه إلى بعض الانحرافات عنده وأسبابها فقال : "لقد واجه "إقبال" في العالم الشرقي بيئة فكرية "تائهة" في غيبوبة "إشراقات " التصوف العجمي ، كما يسميه ، فراعه هذا " الفناء " الذي لا وجود فيه للذاتية الإنسانية ، كما راعته ، " السلبية " التي لا عمل معها للإنسان ولا أثر في الأرض- وليس هذا هو الإسلام بطبيعة الحال- كما واجه من ناحية أخرى التفكير الحسي في المذهب الوضعي ، ومذهب التجريبيين في العالم الغربي ، كذلك واجه ما أعلنه " نيتشه" [٢] في كتاب" هكذا قال زرادشت " [٣] عن مولد الإنسان الأعلى "السوبرمان " وموت الإله ! وذلك في تخبطات الصراع التي كتبها "نيتشه" وسماها بعضهم " فلسفة " ! .

حيث أراد" إقبال" أن ينفض عن "الفكر الإسلامي" وعن "الحياة الإسلامية" ذلك الضياع والفناء والسلبية كما أراد أن يثبت للفكر الإسلامي واقعية "التجربة" التي يعتمد عليها المذهب التجريبي ثم المذهب الوضعي!.

ولكن النتيجة كانت جموحًا في إبراز الذاتية الإنسانية ، اضطر معها إلى تأويل بعض النصوص القرآنية تأويلًا تأباه طبيعتها ، كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي ، لإثبات أن الموت ليس نهاية للتجربة، ولا حتى القيامة ، فالتجربة والنمو في الذات الإنسانية مستمران أيضًا- عند إقبال - بعد الجنة والنار، مع أن التصور الإسلامي حاسم في أن الدنيا دار ابتلاء وعمل وأن الآخرة دار حساب وجزاء، وليست هناك

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٣١ .

(٢) هو: نيتشه فرويد نيس ١٨٤٤- ١٩٠٠م ، فيلسوف مثالي ألماني ، ولد عام ١٨٤١م،يعتبر رائد الأيدلوجية الألمانية الفاشية ، له عدة مؤلفات، انظر : المنجد في الأعلام ٥٢٨.

(٣) هو:مصلح ديني،ومتنبئ عند الفرس الأقدمين ،توفي نحو ٥٨٣ ق.م ، انظر : المنجد في الأعلام ص٢٧٨ .

فرصة للنفس البشرية للعمل إلا في هذه الدار ، كما أنه لا مجال لعمل جديد في الدار الآخرة بعد الحساب والجزاء ، ولكن هذا الغلو إنما جاء من الرغبة الجارفة في إثبات " وجود " الذاتية، واستمرارها، أو الـ " أنا " كما استعاره إقبال من اصطلاحات هيجل الفلسفية ، ومن ناحية أخرى اضطر إلى إعطاء اصطلاح " التجربة " مدلولاً أوسع مما هو في " الفكر الغربي " وفي تاريخ هذا الفكر ، لكي يمد مجاله إلى " التجربة الروحية " التي يزاولها المسلم ويتذوق بها الحقيقة الكبرى ،" فالتجربة " بمعناها الاصطلاحي الفلسفي الغربي لا يمكن أن تشمل الجانب الروحي أصلاً لأنها نشأت ابتداءً لنبذ كل وسائل المعرفة التي لا تعتمد على التجربة الحسية .

ومحاولة استعارة الاصطلاح الغربي ، هي التي قادت إلى هذه المحاولة التي يتضح فيها الشد والجذب والجفاف أيضاً ، حتى مع شاعرية "إقبال" الحية المتحركة الرفافة ! ولست ابتغي أن انقص من قدر تلك الجهود العظيمة المثمرة في إحياء الفكر الإسلامي وإنهاضه التي بذلها ... الشاعر" إقبال " – رحمه الله – وإنما أريد فقط التنبيه إلى أن دفعة الحماسة لمقاومة انحراف معين ، قد تنشئ هي انحرافاً آخر، وأن الأولى في منهج البحث الإسلامي هو عرض حقائق التصور الإسلامي في تكاملها الشامل، وفي تناسقها الهادئ ووفق طبيعتها الخاصة وأسلوبها الخاص"[1].

(١) خصائص التصور الإسلامي – سيد قطب ، ص ٢٠– ٢٢ .

الفصل الثالث

منهجه في تقرير مسائل الإيمان

تعد مسائل الإيمان من أوائل القضايا التي وقع الخلاف في مسمياتها في هذه الأمة، وتعددت فيها الأقوال وتنوعت، ابتداءً بخلاف الخوارج للصحابة في مسألة عصاة الموحدين وإخراجهم من الإسلام واستحلال دمائهم ، ثم خلاف المعتزلة لأهل السُّنَّة وقولهم بالمنزلة بين المنزلين، ثم خلاف المرجئة وقولهم : إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان ، وما تبع ذلك من تفريعات حول تعريف الإيمان وحقيقته وعلاقة العمل به ، وزيادته ونقصانه ، وغيرها من المسائل .

وسأذكر هنا أبرز قضايا الإيمان التي حصل الخلاف فيها بين الفرق ، مبينًا رأي أهل السُّنَّة والجماعة وموقف سيد قطب من هذه القضايا وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول : تعريف الإيمان وبيان حقيقته .

المبحث الثاني : ثمرات الإيمان والتوحيد وآثاره في الحياة .

المبحث الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه وعلاقته بالإسلام .

المبحث الرابع : الكبائر وأحكام مرتكبيها .

المبحث الخامس : التكفير .